DANIELLE STEEL

التحدي

COMING OUT



الفصل 1

كانت أولمبيا كراوفورد روبنشتاين تتحرك بعجلة في مطبخها في يوم مشمس من شهر مايو/أيار، في المنزل الحجري الذي تتشاركه مع عائلتها في شارع جاين في نيويورك، قرب الحي القديم لويست فيلاج. وقد أصبحت هذه المنطقة منذ زمن بعيد ضاحية راقية، بحيث تتواجد فيها المباني الأكثر عصرية مع حراس ومنازل حجرية قديمة جرى ترميمها. كانت أولمبيا تُحضّر الغداء لابنها ماكس البالغ من العمر خمس سنوات، والذي يفترض أن يوصله باص المدرسة خلال دقائق معدودة. إنه في صف الحضانة في دالتون، ويوم الجمعة هو نصف يوم دراسي عنده. لذا، فهي تأخذ دوماً يوم الجمعة يوم عطلة لقضاء الوقت معه. ورغم أن لأولمبيا ثلاثة أولاد كبار من زواجها الأول، إلاّ أن ماكس كان ابنها الوحيد من زوجها هاري.

جدّد هاري وأولمبيا المنزل قبل ستة أعوام، حين كانت حاملاً بماكس. قبل ذلك، عاشا في شقتها في بارك أفنيو، التي تشاركتها قبلاً مع أولادها الثلاثة بعد طلاقها، إلى أن انضم هاري إليهم. التقت بهاري روبنشتاين بعد سنة واحدة من طلاقها. واليوم، مضى ثلاثة عشر عاماً على زواجها من هاري. انتظرا

ثمانيـة أعوام لإنجاب ماكس، علماً أن أهله وإخوته يعشقونه. إنه ولد محبوب ومسلٍ وسعيد.

كانت أولمبيا شريكة في مكتب محاماة مزدهر، متخصص في مسائل الحقوق المدنية والدعاوى القضائية الفذة. أما قضاياها المفضلة – وهي ما تخصصت به – فتلك التي تتناول التمييز ضد الأولاد أو إساءة معاملتهم. وقد حققت شهرة لنفسها في هذا المجال. ذهبت إلى كلية الحقوق بعد طلاقها، أي قبل خمسة عشر عاماً، وتزوجت هاري بعد عامين. كان أحد أساتذتها في مادة القانون في كلية كولومبيا للحقوق، وهو الآن قاضٍ في محكمة الاستئناف الفدرالية. رُشّحَ مؤخراً لمقعد في المحكمة العليا. إلا أنه لم يعين في نهاية الأمر بالرغم من كونه مؤهلاً لذلك المنصب، وأملت هي وهاري أن يتمكن من الفوز بالمنصب عندما يشغر المقعد في المرة المقبلة.

كانت تتشارك مع هاري كل المعتقدات والقيم والهوايات نفسها، رغم أنهما يأتيان من خلفيتين مختلفتين جداً. فهو يأتي من منزل يهودي أرثوذكسي، ونجا أهله من المحرقة النازية حين كانوا أولاداً. انتقلت أمه من داتشاو إلى ميونيخ في عمر العاشرة وفقدت كل عائلتها. أما والده فكان من الناجين القلائل في أوشفيتز، والتقيا لاحقاً في إسرائيل. تزوجا حين كانا مراهقين، وانتقلا إلى لندن، ومن هناك إلى الولايات المتحدة. لقد فقد كل منهما كل عائلته، وكان ابنهما الوحيد محط كل طاقاتهما وأحلامهما وآمالهما. لقد عملا مثل العبيد طوال حياتهما لتوفير التعليم له، فعمل والده خياطاً ووالدته خياطة في معامل

للكنزات في لوير إيست سايد، ومن ثم في سيفنث أفنيو أي ما أصبح لاحقاً يعرف بمنطقة الثياب. توفي والده مباشرة بعد زواجه من أولمبيا. ولعل أكثر ما سبب الأسى لهاري هو أن والده لم يعرف ماكس. أما والدة هاري، فريدا، فكانت امرأة قوية وذكية ومحبة في السادسة والسبعين من عمرها، وتعتبر ابنها عبقرياً وحفيدها معجزة.

تحولت أولمبيا من خلفيتها البروتستانتية إلى اليهودية حين تزوجت هاري. حضرا معاً اجتماع عبادة، وكانت أولمبيا تتلو الصلوات مساء كل جمعة وتضيء الشموع، الأمر الذي أثّر دوماً في هاري. لم يكن هاري يشك أبداً، ولا أمه أيضاً، في أن أولمبيا امرأة استثنائية، وأم رائعة لكل أولادها، ومحامية مذهلة، وزوجة فاتنة. وكما هي حال أولمبيا، تزوج هاري قبلاً لكنه لم يرزق بأي أولاد. وكانت أولمبيا ستبلغ الخامسة والأربعين في شهر يوليو/تموز، فيما كان هاري في الثالثة والخمسين. كانا منسجمين جداً من كل النواحي، رغم أن خلفيتيهما تختلفان جداً. حتى على الصعيد الجسدي، كانا يكملان بعضهما بشكل مذهل. فهي تملك شعراً أشقر وعينين زرقاوين. أما هو فأسمر، وعيناه بنّيتان داكنتان. كانت صغيرة البنية بينما كان هو رجلاً ضخماً مع ابتسامة سريعة وطبع هادئ. كانت أولمبيا خجولة وجدية، لكنها سريعة الضحك، خصوصاً إذا كان السبب هاري أو أولادها. كانت كنّة مطيعة ومحبة لوالدة هاري، فريدا.

إن خلفية أولمبيا مختلفة تماماً عن خلفية هاري. فآل كراوفورد هم عائلة نيويوركية شهيرة واجتماعية جداً، تزوج أجدادها

النبلاء من آل أستور وآل فاندربيت طوال أجيال عدّة. وكانت هناك أبنية ومؤسسات أكاديمية تحمل اسمهم، كما كانت عائلتها تملك أحد أكبر المنتجعات في نيوبورت، رود آيلند، حيث يقضون فصل الصيف. إلا أن ثروة العائلة تضاءلت إلى الصفر تقريباً حين توفي أهلها وكانت هي في الكلية، فأجبرت على بيع المنتجع والأملاك المحيطة به لتسديد الديون والضرائب. لم يعمل والدها أبداً في حياته، ومثلما قال أحد أقاربها بعد وفاته: "كان يملك ثروة صغيرة صنعها من ثروة كبيرة". وبعدما سددت كل الديون وباعت الممتلكات، لم يعد هناك أي مال، باستثناء الأصول النبيلة والأرستقراطية. كانت تملك فقط ما يكفي لدفع كلفة تعليمها، واحتفظت بالقليل لتدفعه لاحقاً قسطاً في كلية الحقوق.

تزوجت حبيبها في الكلية، تشونسي بيدهام والكر الرابع، بعد ستة أشهر من تخرجها من فاسار وتخرجه هو من برينستون. كان رجلاً ساحراً وأنيقاً ومحبباً، وكابتن فريق الجامعة، كما كان فارساً ماهراً، ولاعب بولو. وحين التقيا، سُحرت به أولمبيا بكل معنى الكلمة. كانت أولمبيا متيّمة بحبه، ولم تكترث أبداً بالثروة الطائلة لعائلته. كانت مغرمة فعلاً بتشونسي، بحيث إنها لم تلاحظ أنه كان يثمل كثيراً، ويلعب الميسر دوماً، ويغازل النساء، وينفق الكثير من المال. ذهب للعمل في مصرف الاستثمار الذي يخص عائلته، وفعل كل ما يريده، بما في ذلك الذهاب إلى العمل لأقل قدر ممكن، وعدم قضاء أي وقت فعلي معها، وإقامة علاقات غرامية مع مجموعة من النساء. وحين علمت ما الذي يجري، كانت قد رزقت من تشونسي بثلاثة أولاد. ولد تشارلي بعد

عامين من زواجهما، فيما ولدت التوأمان فيرجينيا وفيرونيكا بعد ثلاثة أعوام. وحين انفصلت عن تشونسي بعد سبعة أعوام من زواجهما، كان تشارلي في الخامسة والتوأمان في الثانية، وكان عمر أولمبيا تسعة وعشرين عاماً. ومباشرة بعد انفصالهما، ترك تشونسي عمله في المصرف وذهب للعيش في نيوبورت مع جدته، عميدة مجتمع نيوبورت وبالم بيتش، وخصص وقته للعب البولو ومطاردة النساء.

بعد سنة واحدة، تزوج تشونسي من فيليسيا ويثرتون التي كانت الشريكة المثالية له. شيّدا منزلاً على أرض جدته التي ورثها، وملأ الإسطبلات بأحصنة جديدة وأنجب ثلاث فتيات في أربعة أعوام. وبعد عام من زواج تشونسي وفيليسيا، تزوجت أولمبيا من هاري روبنشتاين، الذي وجده تشونسي سخيفاً ومروّعاً. وأصيب بالصدمة حين أخبره ابنهما تشارلي أن أمه تحولت إلى اليهودية. وكان قد أصيب بصدمة أيضاً حين تسجلت أولمبيا في كلية الحقوق، الأمر الذي أثبت له - والذي عرفته أولمبيا قبل زمن بعيد - أنه رغم تشابه نسبهما، إلاّ أنهما لم يملكا أي شيء مشترك، ولن يفعلا ذلك أبداً. حين تقدمت في العمر، أصبحت الأفكار التي بدت لها طبيعية خلال شبابها مروّعة فعلاً. وأصبحت كل قيم تشونسي تقريباً - أو افتقاده إليها - بغيضة بالنسبة إليها.

إن الخمسة عشر عاماً التي مرّت على طلاقهما كانت سنوات من الهدنة الغريبة، مع حروب بسيطة بين الحين والآخر، بسبب المال عادة. فلقد كان يؤمّن المال لأولاده الثلاثة بطريقة

لائقـــة، ولكن ليس بكرم. فعلى الرغم من المال الذي ورثه عن عائلـــته، كـــان تشونسي بخيلاً مع عائلته الأولى وكريماً كثيراً مع زوجته الثانية وأولادهما. ولإضافة الإهانة إلى المشكلة، أجبر أولمبيا على الموافقة على أنها لن تدفع أولادهما أبداً إلى اعتناق اليهودية. لم تكن هذه مشكلة كبيرة على أية حال. فهي لا تملك النية لفعل ذلك أصلاً. كان تحول أولمبيا إلى اليهودية قراراً شخصياً وخاصاً بينها وبين هاري. كان تشونسي معادياً كثيراً للسامية. أما هاري فاعتـــبر الزوج الأول لأولمبيا مغروراً وفظاً وعديم الفائدة. وطوال الخمسة عشر عاماً الماضية، وجدت أولمبيا استحالة في الدفاع عنه، باســـتثناء كـــونه والـــد أولادها وأنها كانت تحبه حين تزوجته. الأحكام المسبقة هي الصفة الملازمة لتشونسي. لم يكن هناك على الإطلاق شيء صحيح فيه وفي فيليسيا، وكان هاري يشمئز منه. كانـــا يمـــثلان كل شيء يكرهه، ولم يفهم أبداً كيف استطاعت أولمبـــيا تحمله لعشر دقائق، أو بالأحرى سبع سنوات من الزواج. فالأشخاص أمثال تشونسي وفيليسيا، وكل الطبقة الأرستقراطية لمجتمع نيوبورت، كانوا مسألة غامضة بالنسبة إلى هاري. لم يشأ معرفة أي شيء عنهم، وكانت شروحات أولمبيا بين الحين والآخر مضيعة للوقت بالنسبة إليه.

كـــان هاري يعشق أولمبيا وأولادها الثلاثة وابنهما ماكس. وفي بعـــض النواحـــي، كانت ابنتها فيرونيكا تبدو وكأنها ابنة هـــاري أكثـــر مما هي ابنة تشونسي. فقد كانا يتشاركان كل الأفكـــار الليبرالية والمسؤولة اجتماعياً. أما أختها التوأم فيرجينيا فكانت سليلة حقيقية لنسبها في نيوبورت، وكانت أكثر طيشاً مـــن أختـــها الـــتوأم. أما تشارلي، شقيقهما الأكبر، فكان في دارتمـــاوث يـــدرس علم اللاهوت وينوي أن يصبح كاهناً. من جهـــته، كـــان ماكس أشبه بشخص كبير حكيم، بحيث تقسم جدتـــه بأنه مثل والدها الذي كان حاخاماً في ألمانيا قبل إرساله إلى داتـــشاو، حيث ساعد أكبر عدد ممكن من الأشخاص قبل إبادته مع بقية عائلتها.

في الواقع، كانت قصص طفولة فريدا وخسارتها لأهلها تدفع أولمبـــيا دومـــاً إلى النحيب. كانت فريدا روبنشتاين تملك رقماً موشـــوماً على الجهة الداخلية لمعصمها الأيسر، يذكرها بالطفولة البائـــسة التي سرقها منها النازيون. لهذا السبب، ارتدت الأكمام الطويلة طوال حياتها ولا تزال تفعل ذلك حتى اليوم. كانت أولمبيا تشتري لها دوماً قمصاناً حريرية جميلة وكنـــزات طويلة الأكمام. كـــان هـــناك رابط قوي من الحب والاحترام بين المرأتين، ازداد عمقاً على مرّ السنوات.

سمعـــت أولمبـــيا صوت البريد يوضع أمام الباب الرئيسي، فذهبت لإحضاره ووضعته على طاولة المطبخ فيما كانت تنتهي مـــن إعداد غداء ماكس. وفي التوقيت المناسب، سمعت جرس الـــباب يرنّ في اللحظة نفسها تقريباً التي أنهت بها إعداد الغداء. لقـــد عاد ماكس من المدرسة، وكانت تتطلع لقضاء بعد الظهر معـــه. فأيام الجمعة التي يقضيانها معاً كانت دوماً مميزة. عرفت أولمبيا أنها تملك أفضل ما في العالمين، مهنة تحبها وترضيها، وعائلة هي أساس وجودها العاطفي. وبدا كل واحد من الأمرين وكأنه يعزز الآخر ويكمّله.

أرادت أولمبيا اصطحاب ماكس للتمرن على كرة القدم بعد الظهر. كانت تحب الوقت الذي تقضيه في المنزل مع عائلتها. سوف تعود التوأمان إلى المنزل في وقت لاحق من هذا اليوم، بعد الانتهاء من نشاطات بعد الظهر المدرسية التي تشمل الكرة اللينة، والتنس، والسباحة، والصبيان - عند الإمكان - ولا سيما في حالة فيرجينيا. كانت فيرونيكا أكثر تحفظاً، وخجولة مثل أمها، وتهتم كثيراً بالشخص الذي تخرج معه. يمكن القول إن فيرجينيا كانت الأكثر "شعبية" فيما كانت فيرونيكا التلميذة الأفضل. تم قبول الفتاتين في كلية براون للخريف القادم وسوف تتخرجان من الثانوية في شهر يونيو/حزيران.

تم قبول تشارلي في برينستون، مثل والده، وثلاثة أجيال من آل والكر قبله، لكنه قرر الذهاب إلى دارتماوث بدلاً من ذلك، حيث لعب الهوكي على الجليد، وصلّت أولمبيا لأن يتخرج وهو لا يزال يحتفظ بأسنانه. يفترض أن يعود إلى المنزل لقضاء فصل الصيف بعد أسبوع، وبعد زيارته لوالده وزوجته وأخواته الثلاث في نيوبورت، سيذهب للعمل في مخيم في كولورادو، ليعلّم الركوب على الأحصنة والاعتناء بها. ورث حب والده للفروسية، وكان لاعب بولو ماهراً، لكنه فضل الجوانب غير الرسمية للرياضة. فالركوب على صهوة الفرس طوال الصيف، وتعليم الأولاد، ممتع أكثر بالنسبة إليه، ووافق هاري وأولمبيا على ذلك. لعل الشيء الوحيد الذي رأى هاري أنه لا يجدر بابن زوجته فعله هو تبديد فصل الصيف في الذهاب إلى الحفلات في نيوبورت، مثلما فعل والده. رأى هاري أن كل أسلوب عيش تشونسي،

وجميع المرتبطين به، هو مضيعة للوقت. وكان يُسرّ دوماً حين يلاحظ أن تشارلي لديه جوهر وقلب أكثر من والده. كان رجلاً شاباً ذا عقل رزين، وقلب حنون، ومبادئ ومعتقدات صلبة.

سوف تسافر الفتاتان إلى أوروبا مع أصدقائهما، وكان سفرهما هدية تخرجهما، على أن يلتقي بهما هاري وأولمبيا وماكس في البندقية في شهر أغسطس/آب لاصطحابهما في رحلة عبر أومبريا إلى بحيرة كومو، ومن ثم إلى سويسرا، حيث يملك هاري بعض الأقارب. كانت أولمبيا تتطلع إلى الرحلة. وبعد فترة وجيزة من عودتهما، سوف تأخذ الفتاتين إلى براون، وبعد ذلك سيبقى ماكس وحده في المنزل معها هي وهاري. يبدو المنزل هادئاً جداً لها هذه الأيام، بعد رحيل تشارلي. وسيكون غياب الفتاتين خسارة حقيقية بالنسبة إليها. والآن، نظراً لاقتراب تخرجهما وتحررهما، لم تعد الفتاتان تقريباً تأتيان إلى المنزل أبداً. لقد اشتاقت كثيراً إلى تشارلي خلال الأعوام الثلاثة الماضية. وشعرت بالأسف لأنها لم تقرر هي وهاري إنجاب المزيد من الأولاد بعد ماكس، لكن بعد أن أصبحت في الخامسة والأربعين تقريباً، لا تستطيع تخيل نفسها وهي منهمكة في الحفاضات والرضاعات مجدداً. لقد ولّت تلك الأيام بالنسبة إليها، وبدا وجود ماكس في حياتهما - لتقريبهما أكثر من بعضهما - بمثابة هدية رائعة.

ركضت أولمبيا لفتح الباب ما إن سمعت صوت الجرس، وكان هناك ماكس، ولدها الرائع البالغ من العمر خمس سنوات، مع ابتسامته العريضة والسعيدة، والذي طوّق بذراعيه عنق أمه

وقبّلها، مثلما كان يفعل دوماً كلما رآها. كان ولداً صغيراً سعيداً وحنوناً.

"كان يومي رائعاً، أمي!" قال بحماس. كان ماكس يحب كل شيء في حياته، أهله، أخواته، أخاه الذي نادراً ما كان يراه لكنه كان مولعاً به، جدته، الرياضات التي يمارسها، الأفلام التي يشاهدها، الطعام الذي تقدمه له أمه، أساتذته وأصدقاءه في المدرسة. "تناولنا قالباً من الحلوى بمناسبة ذكرى ميلاد جيني! كان قالب الحلوى بالشوكولاته!" قالها كما لو أنه يصف حدثاً نادراً ومذهلاً، رغم أن أولمبيا كانت تعرف من تطوعها في صف حضانة ابنها أنهم يقيمون حفلة ذكرى ميلاد مع قالب حلوى وزينة كل أسبوع تقريباً. لكن بالنسبة إلى ماكس، كان كل يوم، مع الفرص التي يوفرها، رائعاً وجديداً.

"يبدو ذلك لذيذاً". انحنت نحوه ولاحظت الطلاء المتناثر على كل قميصه القطني. وضع كنزته على كرسي، ولاحظت أن حذاءه الرياضي الجديد كان مغطى بالطلاء هو أيضاً. كان ماكس يتحمس لكل شيء يقوم به. "هل تعلمت الفنون اليوم؟" سألته فيما جلس هو على كرسي أمام مائدة المطبخ الدائرية الكبيرة، حيث تتشارك العائلة معظم وجباتها. كانت لديها غرفة طعام أنيقة مع تحف فنية ورثتها، لكنها كانت تُستعمل فقط لحفلات العشاء النادرة التي يقيمونها، وللأعياد. كانوا يحتفلون بكل الأعياد... ليكون الأمر عادلاً لكل أولادها. أرادتهم أن يقدروا ويحترموا كل الأديان. في البداية، كانت حماة أولمبيا تكره ذلك، لكنها تعترف الآن سراً أنها تستمتع بالأمر "لأجل الأولاد". كان المطبخ محور

العائلة والمركز الأساسي لعمليات أولمبيا. كانت تملك مكتباً صغيراً في الزاوية، مع كمبيوتر وكدسة كبيرة من الأوراق يتعلق معظمها بالعائلة. وكانت تملك غرفة صغيرة في الطابق العلوي، قريبة من غرفة نومها، تستخدمها كمكتب منزلي صباح الجمعة أو أحياناً في الليل، حين تكون لديها قضية كبيرة تحضرها معها إلى المنزل للعمل عليها. في معظم الأوقات، تحاول ترك عملها القانوني في المكتب، وتركز على الأولاد حين تكون في المنزل. لكن إدارة كلتا الحياتين صعبة في بعض الأحيان. كان هاري وأولادها الكبار معجبين بطريقة إدارتها للأمور. أما ماكس فلم يكن يلاحظ. وكل ما يحدث في المنزل كان يتركز على العائلة، وليس على العمل القانوني. كانت تفعل ما بوسعها لإبقاء عالميها منفصلين. نادراً ما كانت تتحدث عن عملها مع أولادها، إلا إذا سألوها بأنفسهم. في المنزل، كانت تهتم أكثر بالكلام عما يفعلونه. وكانت تحضر مربية لماكس فقط في الساعات التي تكون خلالها في العمل، وليس لدقيقة واحدة أكثر. كانت تحب أن تكون معه وتستمتع بوقتها معه.

"كيف عرفت أننا تعلمنا الفنون اليوم؟" سأل ماكس باهتمام، فيما راح يتناول سندويش الحبش الذي أعدته له. لقد حضّرته بالطريقة التي يحبها، مع المقدار الصحيح من المايونيز والكثير من البطاطا المقلية المفضلة لديه. كانت مهاراتها في الأمومة ممتازة جداً، وبمستوى أربع نجوم بالنسبة إلى ماكس. كما وافق زوجها وأولادها الثلاثة الباقون على ذلك. كانت طاهية جيدة، وأماً حنونة، وجعلت نفسها مستعدة للإصغاء إلى محنهم وحل

مشاكلهم. كانت تعرف كل شيء يقومون به تقريباً. لم تفشِ أبداً أسراراً، وكانت تعطي نصائح جيدة للمشاكل الرومنسية، مثلما تقول فيرجينيا. أما فيرونيكا فكانت تحتفظ عادة بأسرارها لنفسها، مثلما فعل تشارلي. كان يملك مستشاره الخاص لعلاقاته في الكلية، تماماً مثلما كان يفعل حين كان في المنزل وفي المدرسة. كان تشارلي شخصاً كتوماً وسرياً جداً، وهو دوماً كذلك. قال هاري عنه إنه رجل مستقيم وذو اعتبار كبير. في بعض الأحيان، كان يقول إن أولمبيا هي أيضاً كذلك، رغم كونها امرأة. وكانت هي تعرف أن هذا إطراء حقيقي له.

"أنا خارقة القوى"، أجابت أولمبيا على سؤال ماكس. وابتسمت لتلك العينين البنيتين الداكنتين اللتين تشبهان كثيراً عينيّ والده. كان شعره داكناً جداً ولامعاً، يميل إلى الأزرق تقريباً. "يحتمل أن الطلاء الذي على قميصك أعطاني تلميحاً بسيطاً". لم تذكر الحذاء، وكانت واثقة بأنه لم يلاحظ ذلك. أحب ماكس الفنون، وكان محباً كثيراً للمطالعة تماماً مثل تشارلي وفيرونيكا. أما إجبار فيرجينيا على إتمام واجباتها المدرسية فكان صراعاً مستمراً. برأيها، هناك أشياء أهم يجب القيام بها، مثل إرسال البريد الالكتروني إلى الأصدقاء، أو التحدث على الهاتف، أو مشاهدة قناة الموسيقى.

"ماذا يعني خارقة القوة مجدداً؟" بدا ماكس مذهولاً لبرهة وهو يلتهم مجموعة من رقاقات البطاطا المقلية، محاولاً تذكر معنى الكلمة الذي نسيه مؤقتاً. كان يعرف مجموعة مفردات أكبر من سنوات عمره.

"خارقة القوة تعني أني أعرف ما الذي تفكر به". شرحت له، محاولة ألا تضحك عليه. كان ظريفاً جداً.

"نعم"، أومأ برأسه مع نظرة إعجاب. "أنت دوماً كذلك. أظن أن هذا ما تفعله الأمهات". فبرأيه، هي تعرف كل شيء.

وبرأي أولمبيا، كان سن الخامسة رائعاً فعلاً. فحين تقول لها إحدى الفتاتين إنها أم شنيعة، يبقى لديها ماكس ليؤكد لها أنها لا تخطئ أبداً. كان هذا مطمئناً، وهذه هي الحال خلال العامين الماضيين فيما عبرت الفتاتان سنوات المراهقة. وينطبق ذلك خصوصاً على فيرجينيا التي كانت تختلف دوماً مع أمها، خصوصاً حول الأمور التي لا يُسمح لها بإنجازها. أما معارك فيرونيكا معها فكانت حول مسائل أكثر شمولاً، وترتبط أكثر بالأمراض والظلم في العالم.

شعرت أولمبيا أن التعاطي مع الفتاتين المراهقتين أصعب كثيراً من التعاطي مع الأولاد في سن الحضانة، أو حتى من التعاطي مع أخيهما الكبير الذي كان دوماً هادئاً وسهل التعامل ومنطقياً جداً. كان تشارلي مفاوض العائلة وصانع السلام فيها، يحرص على وجود تفاهم بين الجميع، ولا سيما فرعيّ عائلته الكبيرة. لطالما لاحظ نقاط الاختلاف في الرأي بين أمه وأبيه، وحين كانت إحدى شقيقتيه تتشاجر مع أمها، كان تشارلي هو من يتولى التفاوض وإحلال السلام. كانت فيرونيكا الفتاة المتهورة والمتمردة، مع بعض الآراء السياسية المناهضة بين الحين والآخر، فيما فيرجينيا هي المغناج في العائلة، مقارنة مع أختها التوأم. كانت فيرجينيا تهتم عادة بمظهرها وحبها للحياة أكثر مما تهتم

بالمسائل الاجتماعية أو السياسية العميقة. كانت فيرونيكا تشارك هاري في محادثات طويلة وحامية خلال الليل، رغم أنهما يملكان رأياً مماثلاً عادة. أما فيرجينيا فسلكت اتجاهاً مختلفاً عن أختها، وكانت تقضي ساعات وهي تقلّب مجلات الموضة أو تقرأ إشاعة عن هوليوود. قالت إنها تريد أن تكون عارضة أزياء أو تريد أن تدرس التمثيل. من جهتها، أرادت فيرونيكا الدخول إلى كلية الحقوق، مثل هاري وأمها، وكانت تفكر في الانخراط في السياسة بعد التخرج من الجامعة.

لم يتصور تشارلي مهنته المستقبلية بعد، رغم أنه لم يعد أمامه سوى سنة واحدة لفعل ذلك. كان يفكر في العمل في مصرف الاستثمار الذي يخص عائلة والده بعد التخرج من الكلية، أو ربما يدرس سنة في أوروبا. أما ماكس فكان جالب الحظ للعائلة ويجعل الجميع يضحكون في أوقات الشدة ويعانقونه كلما وقعت أعينهم عليه. كان إخوته الثلاثة يعشقونه فعلاً. لم يلتقِ ماكس أبداً بشخص لا يحبه، وكان يحب التجول مع أمه في المطبخ، والاستلقاء على الأرض لمجرد أنه يستمتع بذلك، يرسم أو يشيّد أشياء بالمكعبات والليغو فيما هي تتحدث على الهاتف. كان ولداً تسهل تسليته. كان سعيداً دوماً تقريباً. لقد أحب كل شيء في عالمه، ولا سيما الأشخاص الموجودين فيه.

أعطته أولمبيا كوباً من عصير الفاكهة الطبيعي وقطعة حلوى، فيما كانت تقلّب البريد وتسكب لنفسها كوباً من الشاي المثلج. كان الطقس دافئاً خلال الأسبوع الماضي، الأمر الذي أراح الجميع. لقد حلّ الربيع أخيراً. فبرأيها، يحتاج الطقس الدافئ دوماً

إلى وقت، طويل ليحلّ. إنها تكره شتاء الشرق البارد. وبحلول شهر مايو/أيار، تكون قد سئمت من المعاطف السميكة، والجزمات، وبذلات الثلج، والقفازات، والعواصف الثلجية العشوائية التي تحدث فجأة في شهر نيسان/أبريل. بالكاد تستطيع انتظار فصل الصيف ورحلتهم إلى أوروبا. سوف تذهب هي وماكس وهاري إلى جنوب فرنسا لقضاء أسبوعين قبل اللقاء بالفتاتين في البندقية. في ذلك الوقت، تكون مستعدة للهروب من حرّ الصيف المريع في نيويورك. سوف يذهب ماكس إلى مخيم لهاري إلى أن يسافروا، حيث يستطيع القيام بمشاريع الفنون العزيزة على قلبه.

كانت بقايا عصير العنب الذي شربه ماكس تنهمر بغزارة على ذقنه وقميصه أثناء تناوله قطعة الحلوى، فيما ألقت أمه نظرة على آخر رسالة بريد في الكدسة، ووضعت جانباً كوب الشاي المثلج. إنه ظرف كبير باللون البيج الفاتح يبدو مثل بطاقة دعوة لزفاف، ولم تستطع تخيل شخص واحد يعرفونه يمكن أن يتزوج. مزقت الظرف فيما بدأ ماكس يدندن أغنية تعلمها في المدرسة، ولاحظت حينها أنها ليست دعوة زفاف، وإنما دعوة إلى حفلة راقصة ستقام في ديسمبر/كانون الأول، وهي حفلة مميزة جداً. إنها دعوة لحفلة اجتماعية تضم نخبة الفتيات الشابات، ولقد شاركت هي فيها حين كانت في الثامنة عشرة من عمرها. إنها حفلة القناطر، نسبة إلى اسم وتصميم المكان الذي كانت الحفلة تقام فيه أساساً. لقد اختفى ذلك المكان منذ زمن بعيد، لكن الاسم بقي صامداً طوال سنوات. قامت مجموعة من العائلات الأرستقراطية في المدينة بتنظيم الحدث في أواخر القرن التاسع

عشر، حين كان الهدف من الحفلة تقديم الفتيات الشابات إلى المجتمع، لكي يعثرن على أزواج. وخلال المئة وخمسة وعشرين عاماً التي مضت على تأسيسها، تغير هدف الحفلة بلا أي شك. فالنساء الشابات يخرجن الآن إلى المجتمع قبل فترة من بلوغهن الثمانية عشر عاماً، ولم يعدن محجوزات في غرف المدارس. لقد أصبحت الحفلة الآن ببساطة حدثاً اجتماعياً ممتعاً ومميزاً، ونوعاً من الطقوس الموروثة من دون معنى أو نية أكبر من قضاء وقت جيد في المجتمع الراقي، ومناسبة لارتداء الفساتين البيضاء الجميلة لليلة واحدة مميزة. كانت الحفلة شبيهة قليلاً بالزفاف، مع الكثير من التقاليد القديمة المرتبطة بها؛ انحناءة الاحترام التي تقوم بها الفتيات عند دخولهن إلى الحفلة تحت قوس من الأزهار، والرقصة الأولى الرسمية مع آبائهن، والتي هي دوماً رقصة فالس راقية، تماماً مثلما كانت أيام أولمبيا، وقبلها بزمن طويل. إنها لحظة مثيرة في حياة الفتيات الشابات اللواتي يتلقين الدعوة لإظهار أنفسهن في حفلة القناطر، وذكرى ستبقى عزيزة عند معظمهنّ طوال بقية حياتهن، شرط ألا يثمل أحد، أو يحصل شجار، أو يحصل شيء شنيع للفستان قبل الحفلة. وباستثناء الهفوات البسيطة، تكون الأمسية ممتعة. ورغم أنها قديمة الطراز نوعاً ما ومحصورة بالنخبة، فإنها لا تؤذي أحداً. لا تزال أولمبيا تذكر بحرارة ما حصل معها في حفلتها الراقصة، وتفترض دوماً أن ابنتيها ستشاركان حتماً في مثل هذه الحفلة.

كانت تعرف أهمية الحفلة، وتدرك في الوقت نفسه كم هي غير مهمة في المنظور الحقيقي للأشياء والأحداث العالمية، لكنها

يمكن أن تكون أيضاً ممتعة جداً للفتيات المشاركات فيها. إنها حفلة غير مؤذية حتى لو كانت حدثاً تافهاً في حياة الفتاة. كانت تعلم أيضاً أن تشونسي يتوقع مشاركة الفتاتين في الحفلة، وسوف يصاب بالذعر إذا لم تفعلا. على عكس أولمبيا، كان يعتقد أن المشاركة في الحفلة الاجتماعية الراقصة مهمة فعلاً، لمجموعة من الأسباب الخاطئة. كانت واثقة من أن فيرونيكا ستتذمر، فيما ستكون فيرجينيا متحمسة وستذهب لشراء الفستان في غضون ساعات.

لم يعد أحد يتوقع العثور على أزواج في هذه الحفلة الراقصة، رغم أنه بين الحين والآخر، وإن في أحيان نادرة جداً، تولد قصة رومنسية حقيقية في تلك الليلة، وتتحول إلى زواج بعد سنوات. لكن في معظم الأحيان، كانت الفتيات يرقصن مع أقاربهن وإخوتهن، أو شبان ذهبن معهم إلى المدرسة. والطلب من صديق شاب مرافقة فتاة إلى الحفلة قبل سبعة أشهر كان بمثابة دعوة للمشاكل. ففي ذلك العمر، على باب الدخول إلى الجامعة، لم تكن القصص الرومنسية، مهما كانت ساخنة وجدية في يونيو/حزيران، تدوم حتى شهر ديسمبر/كانون الأول. وكل تلك الأمسية هي في الواقع للاحتفاظ بقصة خرافية جميلة تتذكرها الفتاة وتستمتع بوقتها أثناء المشاركة بها. لم تتفاجأ أولمبيا بالدعوة، لكنّها سرّت رغم ذلك بتلقي دعوة لابنتيها. لقد أبعدت نفسها كثيراً عن المجتمع المخملي في الأعوام الأخيرة بحيث كانت هناك إمكانية غامضة، وإن مستبعدة، لعدم ذكر الفتاتين في لائحة المدعوات. درست كلتا الفتاتين في سبنس، المدرسة التي تتأهل

فيها العديد من الفتيات لحضور الحفلة الراقية خلال شتاء أول سنة جامعية لهنّ. لا شك في أنه توجد خيارات أخرى، وهناك حفلات راقية أخرى للفتيات الأقل أرستقراطية. لكن لطالما اعتبرت حفلة القناطر الحفلة الأكثر أهمية في مجتمع نيويورك.

قبل سبعة وعشرين عاماً، شاركت أولمبيا نفسها في تلك الحفلة، مثلما فعلت قبلها أمها وجدتها، وجدة جدتها قبل زمن بعيد. إنه تقليد سوف تستمتع بمشاركته مع ابنتيها، مهما تغير العالم والمجتمع عموماً، أو حتى حياتها هي، في غضون ذلك. في هذه الأيام، تعمل النساء ويتزوجن في وقت متأخر، وأصبح مقبولاً تماماً ألا تتزوج الفتاة أبداً. وترى أولمبيا أنه لا يتوجب على الزوج المستقبلي أن يكون نبيلاً أو من المجتمع الراقي. كل ما تريده هو أن تتزوج ابنتاها من رجلين جيدين وموثوقين وذكيين يعاملانهما بطريقة جيدة. ويستحسن أن يكون الرجل مثل هاري، وليس مثل والدهما. الآن، وأكثر من أي وقت مضى، أصبح الظهور لأول مرة في الحفلة الراقية مجرد عذر لكي تبدو الفتاة جميلة، وترتدي القفازات البيضاء الطويلة وفستان السهرة الأبيض الجميل، والذي يكون على الأرجح أول فستان ترتديه الفتاة المشاركة. سيكون ممتعاً مساعدة فيرونيكا وفيرجينيا على اختيار فستانيهما، خصوصاً وأنها تعرف أن خيارات الفتاتين ستكون مختلفة جداً، كما هي الحال دوماً. ومشاركة التوأمين في حفلة القناطر ستكون متعة مزدوجة بالنسبة إليها. جلست وهي تتأمل حالمة في بطاقة الدعوة، مع ابتسامة رقيقة وحنين على وجهها، فيما كان ماكس يراقبها. لم يسبق له أن شاهد أمه هكذا في

أغلب الأحيان. بدت مثل فتاة صغيرة مجدداً، فيما تدفقت ذكريات حفلتها الراقصة، وراقبها ماكس باهتمام. لاحظ أنها كانت تفكر في شيء جعلها سعيدة.

"ما هذا، أمي؟" سأل ماكس وهو يمسح عصير العنب عن ذقنه بيده، ثم يمسح يده بسروال الجينز بدل استعمال منديل المائدة.

"إنها بطاقة دعوة لأختيك"، قالت وهي تعيد البطاقة إلى الظرف، وتذكرت ضرورة سؤال اللجنة المنظمة توجيه دعوة مزدوجة، لكي تتمكن من تحضير ألبوم صور لكل فتاة، تماماً مثل الألبوم الذي تحتفظ به من حفلتها والموضوع الآن في المكتبة. في أحد الأيام، سيكون ممتعاً لهما امتلاك مثل هذا الألبوم ومشاركته مع بناتهما. لطالما تمعنت التوأمان في ألبوم أمهما، حين كانتا صغيرتين. وكانت فيرجينيا تقول، حين كانت في عمر ماكس، إن إمها تبدو مثل أميرة خرافية.

"هل هذه بطاقة دعوة لحفلة ميلاد؟" سألها ماكس محتاراً.

"إنها دعوة لحفلة راقصة تعرف بحفلة الخروج"، شرحت له. "إنها حفلة كبيرة ترتدي فيها الفتاة فستاناً أبيض جميلاً". جعلت الأمر يبدو سحرياً، كما لو أن الفتاة تصبح سندريلا لليلة واحدة في الحفلة، وهذا هو بالضبط ما يحصل.

"ومن أين تخرجين؟" سأل ماكس وهو يبدو مذهولاً، فيما ابتسمت أمه.

"هذا سؤال جيد. لا تخرج فعلياً من أي شيء. اعتادت الفتيات قبلاً على الخروج من منازلهن للعثور على زوج. أما اليوم، فيذهبن إلى الحفلة ويقضين وقتاً ممتعاً".

"هــل ســتتزوج جيني وفيرا؟" بدا ماكس قلقاً. عرف أنهما ستغادران إلى الكلية، لكن الزواج بدا مشكلة أكبر بالنسبة إليه.

"لا، حبيبي. سوف ترتديان فقط الثياب اللائقة وتذهبان إلى الحفلــة. ســوف نذهب أنا وبابا لمشاهدتهما. سوف يرقص بابا معهما، وكذلك سيفعل والدهما. وسوف تأتي الجدة فريدا أيضاً، ومن ثم نعود جميعاً إلى المنــزل".

"يبدو هذا مضجراً"، قال بطريقة واقعية. برأي ماكس، تعتبر حفلات الميلاد ممتعة أكثر. "هل يجدر بي الذهاب؟"

"لا. فقــط الكــبار". فمـــن التقاليد التي لا تزال قائمة، لا يستطيع أحد ما دون السنّ المحددة حضور الحفلة. لم يكن يسمح أبــداً للإخوة الصغار بالحضور. توقعت أن تطلب إحدى الفتاتين من تشارلي مرافقتها، ولم يكن لديها أي فكرة عمن ستطلبه الفتاة الأخــرى. قد يكون أحد أصدقائها. يعود ذلك لهما. تعتقد أن فيرونيكا سترقص مع تشارلي، فيما ستطلب جيني مرافقة صديق. هناك مهلة أربعة أسابيع للإجابة، لكن لا حاجة للانتظار. سوف ترسل الشيك في الأسبوع المقبل. فكلفة المشاركة في الحفلة صغيرة جــداً، ويــتم التبرع بها لجمعية خيرية معينة تستفيد من الحدث. يستحيل أن يدفع كل شخص ما يريده. فالمسألة لا تتعلق بالمال، وإنما بتوجيه الدعوة، إما كتراث كما هي حالة ابنتيها، أو نتيجة أصــول وروابط نبيلة وهذه هي حال ابنتيها أيضاً، رغم أن أولمبيا لم تتفاخر يوماً بنبل عائلتها. كانت هذه طريقة عيشهم وجزءاً من تــاريخهم وحــياتهم. لم تفكر يوماً في الأمر. كانت فخورة أكثر بعائلتها الصغيرة وإنجازاتها هي أكثر من الدم النبيل لعائلتها.

صعد ماكس إلى فوق للعب في غرفته. اتصل هاري وقال إنه ســيتأخر في العودة إلى المنــزل. لديه اجتماع مع قاضيين آخرين بعــد المحكمــة خلال بعد الظهر، ولم تتح لها فرصة إخباره عن الدعوة. كان الأمر مهماً، ولكن ليس كثيراً جداً. سوف تخبره عن الأمــر هــذه اللــيلة، حين تطلع الفتاتين. استعجلت بعد ذلك لاصــطحاب مــاكس للعــب كرة القدم، ومن ثم توقفا لشراء الحاجيات، وعادت الفتاتان إلى المنــزل في الوقت الذي وصلت فــيه هي وماكس إلى المنــزل أيضاً. كانت الفتاتان مستعجلتين للخروج مجدداً، كل منهما مع مجموعة أصدقائها. عاد هاري إلى المنـــزل في وقت متأخر أكثر مما هو متوقع، وفيما كانت أولمبيا تحــضر العــشاء، وخرجت الفتاتان للتو، قال ماكس إنه يشعر بالغثيان وبدأ يتقيأ فجأة.

كانـــت الساعة التاسعة والنصف حين وضعته في سريره وخلد إلى النوم بعدما تقيأ مرتين إضافيتين. قال هاري إنه مرهق، ووضعت أولمبــيا العــشاء في البراد، واستلقت على الأريكة بالقرب منه. لقد غيرت ملابسها مرتين، وغسلت شعرها، وبدت مرهقة، فيما تصفح هــاري مجموعة من الأوراق أحضرها معه من المكتب إلى المنــزل للعمــل عليها في عطلة نهاية الأسبوع. نظر إليها مع ابتسامة دافئة، سعيداً بلقائها مجدداً، وقضاء وقت هادئ معها بعد ليلة صاخبة.

"أهــلاً بالحــياة الحقيقية". ابتسمت له بكآبة. "عذراً بشأن العشاء".

" لم أكــن جائعــاً على أية حال. هل تريدين أن أحضر لك شيئاً؟" عرض عليها بكرم. كان يحب الطهو، وكان طاهياً مبدعاً

أكثر منها. كان متخصصاً في الأومليت والطعام التايلندي، ويرغب دوماً بتحضير الطعام للعائلة في أوقات الحاجة، خصوصاً إذا تأخرت في المكتب خلال الأسبوع - وهذا أمر نادر بالنسبة لها - أو إذا واجهت أزمة مع الأولاد، كما الليلة مع ماكس المريض. هناك مربية تأتي للاهتمام بماكس في الأيام التي تعمل هي فيها، وكانت هي وهاري يبذلان دوماً جهداً للقدوم مباشرة من المكتب إلى المنزل في تلك الأيام. لكنها هزّت رأسها. لم تكن جائعة هي أيضاً. "هل ماكس على ما يرام؟"

"أظن ذلك. ركض مثل المجنون في كرة القدم اليوم، وتلقى ضربتين بالكرة على معدته. هذا هو السبب أو أنه أصيب بجرثومة. أتمنى ألا يمرض الآخرون". كانوا معتادين على ذلك، مع أربعة أولاد في المنزل، أو حتى ثلاثة الآن، كانت جراثيم الأنفلونزا تنتشر مثل النار في الهشيم، لتصل حتى إليهم. واجهوا المشكلة طوال سنوات. كانت هذه صدمة بالنسبة إلى هاري في البداية، لكنه اعتاد على المسألة منذ زمن.

تبيّن لاحقاً أن ماكس بقي مريضاً في اليوم التالي، وعانى من حرارة بسيطة، أوحت لها بأن المشكلة هي الأنفلونزا وليست تمارينه في كرة القدم. خرجت أولمبيا لاستئجار أفلام الفيديو له، فيما بقي هاري معه، ونام ماكس معظم فترة بعد الظهر. بقيت الفتاتان خارج المنزل معظم نهاية الأسبوع، ونامت جيني عند صديقة لها. فلقد كانتا في المرحلة النهائية من الإقامة في المنزل، وفي الأسابيع الأخيرة من السنة الثانوية الأخيرة، وكان هناك الكثير من الأمور الممتعة.

حلّت ليلة الأحد قبل أن يعود الجميع إلى المنزل. أصبح ماكس بخير، واجتمع الجميع حول مائدة المطبخ، فيما لعب هاري وفيرونيكا بالورق مع ماكس، وقرأت جيني مجلة، وحضّرت أولمبيا العشاء. كانت تحب اجتماعات العائلة ووجود الجميع بقربها أثناء تحضيرها الطعام. لهذا السبب، جعلوا المطبخ كبيراً وحميماً. وللمرة الأولى منذ يومين، تذكرت الدعوة التي وصلت يوم الجمعة. كانت تخرج دجاجتين من الفرن، فيما ألقت نظر خاطفة على الطاولة وذكرت الأمر أمام الجميع.

"أيتها الفتاتان، أنتما مدعوتان إلى حفلة القناطر"، قالت بطريقة عفوية، وهي تخرج صينية من البطاطا المشوية من الفرن وتضعها على رف المطبخ، فنظرت إليها فيرونيكا. عرفت ما تعنيه حفلة القناطر، وهناك عدة فتيات في المدرسة ذكرن المسألة هذا الأسبوع. تم إرسال جميع الدعوات وأصبحت كل الفتيات المدعوات على علم بذلك.

"كم هذا غبي"، قالت فيرونيكا بقرف، فيما تبادلت مع هاري وماكس مجموعة من أوراق اللعب. إنهم يلعبون لعبة الصيد، وماكس هو الذي يربح لغاية الآن، الأمر الذي سرّه كثيراً. كان يحب التغلب على أهله وبقية إخوته في اللعب.

"ما الذي قلته للتو أمي؟" سألت جيني، وهي تنظر إليها باهتمام. كانت الفتاتان شقراوين مع عينين زرقاوين بارزتين. جعلت جيني شعرها طويلاً ومستقيماً، منسدلاً فوق كتفيها، وكانت تضع القليل من الماكياج. أما فيرونيكا فكان شعرها مربوطاً في ضفيرة، ووجهها نظيفاً، ولا حاجة لها لأن تضع

الماكياج أثناء لعب الورق مع زوج أمها وأخيها، أو بالأحرى في معظم الأوقات. كانتا متشابهتين، ولكنّ أسلوبيهما كانا مختلفين بوضوح. وكان ذلك يساعد في التعرف إليهما، الأمر الذي وجده هاري مفيداً على مرّ السنوات. فلو كانتا ترتديان بالطريقة نفسها، وتسرّحان شعرهما بالطريقة نفسها، لكان واجه مشكلة. في الحقيقة، إن أمهما هي الوحيدة القادرة على التمييز بينهما من دون ثياب أو تسريحة شعر أو ماكياج يعطي تلميحاً للآخرين. حتى ماكس يرتبك أحياناً، وكانتا تضايقانه بسبب ذلك.

"قلت إنكما مدعوتان لحفلة القناطر في شهر ديسمبر/كانون الأول. وصلت الدعوة هذا الأسبوع". بدت أولمبيا مسرورة لهما معاً، فيما سكبت الزبدة فوق البطاطا المشوية وقطّعت الدجاج إلى شرائح، وكانت قد حضرت السلطة قبلاً.

"لا تتوقعين منا أن نفعل ذلك، أليس كذلك؟" قالت فيرونيكا مستهجنة، فيما أومأت أولمبيا برأسها وابتسمت فيرجينيا ابتسامة عريضة.

"كم هذا رائع، أمي. كنت أخشى ألا نتلقى الدعوة. فكل الفتيات في المدرسة تلقين الدعوة في بداية هذا الأسبوع". وكان والدهما قد قال بسخرية قبل أعوام عدة إن تحول أمهما إلى اليهودية قد يحرمهما من الحفلة.

"وصلت دعوتكما يوم الجمعة. نسيت إخباركما بعدما مرض ماكس"، قالت لها أولمبيا.

"متى نستطيع الذهاب للتسوق؟" سألت جيني كما كان متوقعاً، فيما التفتت إليها أمها مع ابتسامة وقاطعتها فيرونيكا.

"التسوق؟ هل أنت مجنونة؟" قفزت فيرونيكا وحدّقت في أختها غاضبة. "هل تقولين لي إنك ستشاركين في تلك الحفلة التمييزية؟ أرجوك جيني، أخرجي رأسك من مجلات السينما لخمس دقائق. لن يطلبوا منك أن تكوني ملكة ليوم أو يقدموا لك جائزة هنا، وإنما يطلبون منك تمييز نفسك عن كل شخص ليس نبيلاً، والتباهي بنفسك في تقليد فوضوي وعديم الجدوى". كانت واقفة على قدميها فيما تتقد عيناها غضباً، وحدقت فيها أمها وأختها مذهولتين. توقعت منها أولمبيا أن تتذمر قليلاً، ولكن ليس أن تجنّ تماماً.

"لا تكوني متطرفة جداً. لم يطلب منك أحد الانضمام إلى حركة فاشية، فيرونيكا. إنها مجرد حفلة راقصة للفتيات".

"ما الفرق؟ هل هناك أميركيون من أصول أفريقية في حفلة القناطر؟ ماذا عن اليهود؟ ماذا عن الإسبانيين أو الآسيويين؟ كيف يمكن أن تكوني منافقة أمي؟ أنت يهودية. أنت متزوجة من هاري. إذا أجبرتنا على فعل ذلك، تكون هذه صفعة على وجهه". بدت فيرونيكا غاضبة بشكل محق، فيما بدت فيرجينيا على وشك البكاء.

"لن يوجه أحد صفعة إلى وجه هاري. هذه حفلة راقصة غير مؤذية، سوف ترتديان فيها أنتما الاثنتان فستانين جميلين، وتقدمان التحية، وتمضيان وقتاً جميلاً. ولا أملك فكرة عن الفتيات اللواتي سيشاركن في الحفلة، أو ما هو عرقهن. لم أذهب إلى مثل هذه الحفلة منذ أعوام".

"هذا هراء، أمي. تعرفين أن هذا حدث أرستقراطي بحت، والهدف منه هو وصد الباب في وجه الأشخاص. لا يجدر بأي

شخص صاحب ضمير المشاركة فيه، وأنا لن أفعل. لا أهتم لما تقولينه، أو لما تفعله جيني، لكني لن أذهب". كانت فيرونيكا تتحدث بجنون فيما انفجرت فيرجينيا بالبكاء.

"اهدئي"، قالت أولمبيا بهدوء وحزم، مستاءة قليلاً من ردة الفعل القوية لفيرونيكا، فيما راقبهنّ هاري جميعاً والدهشة على وجهه.

"هل أستطيع أن أسأل عن الموضوع الذي نتكلم عنه؟ فهمت مما سمعته أنه تمت دعوة الفتاتين للقاء تحت رعاية جمعية كو كلوس كلان، وترغب فيرونيكا في التنحي".

"بالضبط"، قالت فيرونيكا، وهي تذرع الغرفة جيئة وذهاباً غاضبة فيما نظرت جيني إلى أمها مذعورة.

"هل تقصدين أننا لا نستطيع الذهاب؟" سألت جيني وهي تبدو خائفة. "أمي، لا تسمحي لها بأن تفسد الأمر... سوف يشارك الجميع في الحفلة. أعرف فتاتين اشترتا الفساتين من ساكس في عطلة نهاية الأسبوع!" بدا جلياً أن جيني مذعورة من تفويت الدعوة.

"استرخيا كلتاكما"، قالت أولمبيا، وهي تضع العشاء على الطاولة، وتسلم فيرجينيا محرمة وتحاول بثّ جو هدوء لم تكن تشعر به. لم تتوقع أن تكون ردة فعل الفتاتين متطرفة إلى هذا الحدّ. "سوف نتحدث عن الأمر. بحق الله، ليس هذا لقاء لجمعية كو كلوكس كلان فيرونيكا. إنها حفلة راقصة للفتيات. أنا شاركت فيها، وكذلك فعلت جداتك وجدات جداتك. وسوف تستمتعين بالمشاركة فيها أنت أيضاً مع شقيقتك".

"أفضل الموت على ذلك"، صرخت فيرونيكا في وجهها.

"أمي، أريد المشاركة!" قالت جيني وبكت أكثر، وقفزت عن الطاولة هي أيضاً.

"سوف تفعلين!" صرخت فيرونيكا في وجه شقيقتها، فيما الدموع تملأ عينيها أيضاً. "هذه أسخف فكرة سمعت بها. إنها مهينة. إنها تجعلنا نبدو متفاخرين ومتحيزين! أفضل أن أكون داعية سلام، أو أحفر الخنادق في أبالاتشيا أو نيكاراغوا أو أي مكان آخر، بدل ارتداء فستان أبيض سخيف، والتواجد مع الكثير من الأشخاص المتفاخرين الذين يملكون أفكاراً سياسية مريضة تماماً، أمي!" قالت وهي تلتفت نحو أمها ونظرة قوية في عينيها. "لن أفعل ذلك! لا أهتم لما ستفعلينه بي. لن أشارك!" ثم التفتت نحو أختها مع نظرة قرف وغضب، "وإذا أردت فعل ذلك، أظن صراحة أنك مريضة!" عندها، خرجت من المطبخ، وبعد ثوانٍ قليلة، سمعها الجميع وهي تغلق باب غرفتها بقوة، فيما وقفت جيني وسط الغرفة وراحت تبكي.

"إنها تفعل دوماً هذا! لا يمكنك السماح لها بفعل ذلك، أمي! إنها تدمر كل شيء!"

"لم تدمر كل شيء. لقد أفرطتما معاً في ردة الفعل. لمَ لا نترك الجميع يهدأ ليوم أو يومين، ثم نتحدث عن الأمر مجدداً. سوف تهدأ. اتركيها وشأنها".

"لن تهدأ"، قالت جيني مع نظرة قلقة. "إنها شيوعية وأنا أكرهها!" بعد ذلك، ركضت جيني إلى غرفتها وهي تبكي. وبعد لحظة، سمعوا صوت باب غرفتها يغلق بقوة أيضاً، فيما نظر

هاري عبر المائدة إلى زوجته مذهولاً وبذعر تام.

"هل لي أن أسأل ماذا يجري؟ ما هي حفلة القناطر، بحق الله، وما دخلها بالفتاتين؟" يبدو أن اثنتين من الأولاد أصيبتا بالجنون. نظر ماكس إلى طبق البطاطا المشوية وهزّ رأسه بهدوء.

"تريد أمي منهما أن يعثرا على زوجين"، قال ماكس ببساطة، "ولا أظن أنهما تريدان ذلك. ربما جيني تريد، لأنها تحب الشباب أكثر مما تفعل فير. يبدو لي أن فير لا تريد أن تتزوج. صحيح، أمي؟"

"لا... نعم... لا، طبعاً لا". بدت أولمبيا مرتبكة فيما جلست ونظرت إليهما معاً. "كانت الحفلة تقضي قديماً بالعثور على أزواج، لكنها لم تعد اليوم كذلك"، شرحت لماكس مجدداً، ثم نظرت إلى هاري وهي تبعد خصلة من شعرها عن عينيها. بدا المطبخ فجأة ساخناً جداً. لقد أصبحت الأمسية حارة أكثر مما توقعتها. بدا واضحاً أنها غاضبة من كلتا الفتاتين. التفتت نحو هاري، وحاولت أن تبدو أكثر هدوءاً مما هي فعلاً. "تمت دعوة الفتاتين لحضور حفلة راقصة في القناطر. وصلت الدعوة يوم الجمعة. ظننت أن الأمر سيكون ممتعاً لهما. أنا شاركت في حفلة القناطر، وصدقني يا هاري، ليست المسألة كبيرة".

"أنا آسف، لكني لا أفهم شيئاً. فالقناطر الوحيدة التي أعرفها هي تلك الموجودة في ماكدونالدز. لماذا نتشاجر حول ذهابهما إلى ماكدونالدز؟ ثمة شيء يقول لي إني أفوّت جزءاً أساسياً من المعلومات هنا".

"القناطر هي حفلة راقصة للتعريف بالفتيات الشابات. إنها الحفلة الأقدم والأكثر رقياً في المدينة. وهي مهمة جداً في

المجتمعات الراقية. كانت أكثر أهمية حين كنت أنا في عمرهما. شاركت أمي أيضاً في الحفلة، وكذلك جدتي وجدة جدتي. في هذه الأيام، إنها مجرد حفلة جميلة، ونوع من التقليد القديم. إنها غير مؤذية. ترتدي الفتيات فساتين جميلة ويرقصن الفالس مع آبائهن. تحاول فيرونيكا تحويل المسألة إلى حدث سياسي. ليست كذلك. إنها مجرد حفلة، بحق الله، ويبدو أن جيني تريد المشاركة فيها".

"هل يستطيع أي كان التسجل في هذا الحدث؟" سأل هاري وهو ينظر بحذر.

"لا، عليك تلقي دعوة. وقد تلقت الفتاتان الدعوة لأنهما تحت وصايتي"، قالت ببساطة.

سأل حينها هاري بطريقة محددة "هل تستثني الحفلة الأشخاص من بقية الأعراق والأديان؟" ترددت أولمبيا هذه المرة قليلاً قبل الإجابة، فيما تابع ماكس تناول البطاطا المشوية ومراقبتهما باهتمام في الوقت نفسه. كانت الزبدة تتقطر على كل قميصه من دون أن يكترث أبداً لذلك.

"ربما. هكذا كانت الأمور. لا أعرف ما هي سياساتهم هذه الأيام".

"نظراً لردة فعل فيرونيكا، يبدو أنها تعرف أكثر منك. وإذا كان ما تقوله صحيحاً، ولا تستطيع الفتيات من العرق الأسود والآسيوي والإسباني المشاركة فيها، أنا أوافقها الرأي. وأعتقد أن الفتيات اليهوديات ممنوعات من حضور الحفلة أيضاً".

"أوه، بحق الله هاري. نعم، إنها حفلة اجتماعية راقية. يقيمها الأشخاص منذ أعوام عدة. إنها قديمة الطراز وتقليدية وراقية تماماً

مـــثل اللقـــاءات الراقية والنوادي. ماذا عن النوادي التي لا تقبل النساء؟"

"لا أنتمـــي لأي مـــنها"، قال بإيجاز. "أنا قاضٍ في محكمة الاستئناف، ولا أسمح لنفسي بالانتماء لأية منظمة تمييزية، ويبدو أن هـــذه واحدة منها. تعرفين ما هو رأيي في مثل هذه الأمور. هـــل تظنين أنهم سيدعون ابنتنا، لو كان لدينا واحدة، لو عرفوا أنـــك الآن يهودية؟" كان هذا سؤالاً مثيراً، لكنّ الفتاتين ليستا يهوديـــتين وهمـــا تـــتحدران مـــن عائلتين قويتين ومعروفتين وأرستقراطيتين. وهي لم تنجب من هاري ابنة. كان السؤال غير مهـــم بالنـــسبة إليهما. وهي تعرف بلا أدنى شك أن تشونسي يـــتوقع حضور ابنتيه الحفلة. سوف يشعر بالذعر إذا لم تفعلا. ورغـــم أنها أكثر ليبرالية من زوجها السابق أو زوجته، فهي ما زالـــت تشعر بأنه تقليد غير مؤذٍ. رأت أن هاري يفرط في ردة فعله، وكذلك تفعل الفتاتان.

"أفهـــم الجانـــب التمييزي. لكن هذه الحفلة لا تنوي إيذاء الأشـــخاص، وإنما فقط إعطاء بعض الفتيات ليلة من المرح. إنها أشـــبه بأن تكون الفتاة سندريلا. ترتدي فستاناً أبيض جميلاً، وفي منتصف الليل ينتهي كل شيء. هل الأمر شنيع وخاطئ إلى هذه الدرجة؟ لماذا هي مشكلة كبيرة؟"

"لـــو كان هذا صحيحاً، لما وجدت النوادي. ولما وجدت المدارس الخاصة. حسناً، اعتبر الحفلة بمثابة نادٍ للنخبة، حيث يتم تقديم بناتهم للمرة الأولى. لا أرى لماذا يجب أن تتحول المسألة إلى أمر سياسي. لماذا لا تكون فقط ليلة مرحة للفتيات فقط لا غير؟"

- "لقـــد نجـــت أمي من المحرقة"، قال بأسى. "تعرفين ذلك. وكـــذلك فعـــل أبي. لقـــد قضي على عائلتيهما بالكامل بسبب أشخاص يكرهون اليهود. والأشخاص الذين يقيمون هذه الحفلة هـــم أشخاص حاقدون عنصرياً حسب ما فهمت. وهذا يناقض كل الأشياء التي أدافع عنها وأؤمن بها. لا أريد أي شيء له علاقة بمـــثل هذا الحدث". قال لها وكأنها رسمت له للتو إشارة الحزب الـــنازي علـــى جـــدار المطبخ. أجفل فيما كان يتحدث إليها، وراقبهما ابنهما، الذي بدا فجأة غاضباً.

"هـــاري، أرجوك، لا تفتعل أزمة كبيرة من ذلك. إنها حفلة للتعريف بالفتيات. هذا كل ما في الأمر".

"فيرونيكا محقة"، قال بهدوء، ثم وقف. لم يلمس أي شيء من عشائه. لم تقطع أولمبيا قطعة اللحم الخاصة بماكس، ولذلك بـــدأ يتـــناول حبة البطاطا الثانية المشوية. كان جائعاً. والكبار مرتبكون. "لا أظن أنه يجدر بالفتاتين المشاركة في هذه الحفلة"، قـــال هاري بحزم، "سواء أردت ذلك أم لا. أنا أضمّ صوتي إلى فيرونيكا. ومهما كان قرارك في هذا الشأن، لا تتوقعي مني أبداً أن أحـــضر". عـــند ذلك، رمى منديله على الطاولة وخرج من الغـــرفة، فـــيما حـــدق ماكس في والده، ثم نظر إلى أمه بعينين قلقتين.

"يبدو أن الحفلة فكرة سيئة"، قال ماكس بحزن. "لقد أصيب الجميع بالجنون".

"نعـــم، هذا صحيح"، قالت أولمبيا مع تنهيدة، وهي تجلس على كرسيها وتنظر إليه. "إنها مجرد حفلة، ماكس، هذا كل ما في

الأمر". كان الشخص الوحيد الباقي لتشرح له، وكان عمره فقط خمسة أعوام.

"هل سيفعلون أشياء سيئة لليهود هناك؟" سأل وهو يبدو قلقاً. عرف من جدته أن أشخاصاً يدعَوْن النازيين فعلوا أشياء مريعة، رغم أنه لا يعرف التفاصيل. عرف أنهم فعلوا ذلك باليهود، وعرف أنه هو وأهله يهود، تماماً مثل جدته والعديد من أصدقائه في المدرسة.

"طبعاً لن يفعلوا أشياء سيئة لليهود هناك"، قالت أولمبيا وهي تبدو مرعوبة. "كان بابا غاضباً فقط. لن يفعل أحد أي شيء لليهود".

"هذا جيد"، قال ماكس، وهو يبدو مطمئناً قليلاً. "لكن أظن أنهما لن تذهبا إلى الحفلة، أليس كذلك؟ أظن أن جيني تريد فستاناً جديداً".

"نعم، فعلاً. لا أعرف إذا كانتا ستذهبان أم لا، لكني أظن أنه يجدر بهما الذهاب".

"حتى لو لم تتمكني من العثور على زوجين لهما؟" سأل ماكس باهتمام.

"حتى لو لم نتمكن من العثور على زوجين لهما"، أجابت أولمبيا وهي تبتسم بكآبة. "لا نريد زوجين لهما، حبيبي. كل ما نريده هو فستانيْن باللون الأبيض وشابيْن ليرقصا معهما".

"لا أظن أن بابا سيذهب"، قال ماكس وهو يهزّ رأسه، فيما كانت أمه تقطع له اللحم. كانا الشخصين الوحيدين أمام المائدة،

ولم ترغب أولمبيا بالأكل. عرفت أن والد الفتاتين سيحنّ إذا لم تذهبا إلى الحفلة. على الصعيد السياسي، كان الطرف النقيض لهاري. ويمكن القول إن حياتها القديمة وحياتها الجديدة، وفقاً لزوجيها، لا تملكان أي شيء مشترك. كانت هي الجسر بين الاثنتين.

"أتمنى أن يذهب بابا"، قالت أولمبيا بهدوء لابنها. "هذا أمر ممتع".

"لا يبدو الأمر ممتعاً لي"، قال ماكس وهو يهزّ رأسه بكآبة.

"لا أظن أنه يجدر بجيني وفير الذهاب إلى الحفلة". قال وهو ينظر إلى أمه بعينين كبيرتين، "أظن أنه من الأفضل أن تبقيا في المنزل". نظراً لردة فعل الجميع تلك الليلة، بدأت ترى الموضوع من هذا المنظار هي أيضاً.

الفصل 2

في الـــيوم التالي، اتصلت أولمبيا بزوجها السابق من المكتب وشرحت له الوضع. أخبرته ببساطة بأن فيرجينيا تريد الذهاب إلى الحفلة، فيما عارضت فيرونيكا ذلك، وقالت بطريقة حزينة نوعاً مـــا إنها ترى احتمالاً بألاّ تستسلم فيرونيكا. ففي الصباح، انفجر الوضـــع مجدداً على الفطور، قبل مغادرتهما إلى المدرسة. كانت فيرونـــيكا تهدد بالانتقال للعيش مع والدة زوج أمها إذا لم توافق أمها على تركها وشأنها، وأيدها هاري الرأي. لقد أضاف الوقود إلى النار المشتعلة عند القول إنه يرى أنه لا يجدر بأي من الفتاتين الذهاب إلى الحفلة. وغادرت جيني إلى المدرسة وهي تبكي، بعدما قالـــت إنهـــا تكرهه. بين ليلة وضحاها، نشبت حرب أهلية في العائلـــة. اتـــصلت فيرجينيا بأخيها في الليلة السابقة، ورغم أنه تعاطف مع رفض فيرونيكا لحضور الحفلة، إلاّ أنه وقف إلى جانب فيرجينيا وأولمبيا وقال إنه يجدر بكلتا الفتاتين الذهاب إلى الحفلة. فقد فعلت ذلك كل قريباته في نيوبورت، وهو يعرف جيداً، تماماً مـــثل أولمبيا، أن والدهم سيغضب كثيراً إذا لم تذهبا. لكن هاري سيغضب إذا ذهبتا. بطريقة أو بأخرى، سوف يكون الجميع غير راضٍ عـــن أمـــر مـــا. واللافت أن أولمبيا وهاري لم يتحدثا مع

بعضهما حين غادرا إلى العمل، وهذا أمر نادر بالنسبة إليهما. فهما نادراً ما يتشاجران. لكن خطوط المعركة رسمت بوضوح هذه المرة.

كما كان متوقعاً، لم يجعل تشونسي الأمور أفضل وإنما أسوأ.

"أي نوع من المنازل الفوضوية تديرين أولمبيا، إذا كانت فيرونيكا تظن أن مشاركتها في حفلة راقية هي اضطهاد للمظلومين؟ تبدون لي جميعاً مثل مجموعة من الشيوعيين". هذا هو الشيء الذي توقعت أولمبيا أن يقوله.

"أوه، بحق الله، تشونسي، إنهما صغيرتان. تطغى عليهما العاطفة. لطالما امتلكت فيرونيكا أفكاراً سياسية متطرفة. إنها نصيرة المظلومين. تظن أنها مزيج من الأم تيريزا وتشي غيفارا. سوف تتخلص من ذلك مع الوقت. هذه هي طريقتها في التعبير عن نفسها. بعد سبعة أشهر من الآن، أظن أنها ستهدأ وتشارك في الحفلة، إذا لم نفتعل أزمة كبيرة الآن. لكن إذا فعلنا، سوف يزداد عنادها. لذا، فلنكن منطقيين، أرجوك".

لا بد أن يكون أحدهم عقلانياً. ويبدو أن تشونسي لن يكون كذلك هو أيضاً، وهذا أمر لم يفاجئها.

"حسناً، دعيني أخبرك عن رأيي في هذا الموضوع، أولمبيا"، قال وهو يبدو فظاً ومتعجرفاً جداً، علماً أن هذا طبعه. "لا أتحمل أن تكون ابنتي ثورية، وأظن أنه يجب حل المسألة الآن. كان يجدر بك فعل ذلك قبل أعوام، إذا كان هذا هو الاتجاه الذي تسلكه. لن أسمح بهذا الفكر الشيوعي لدى أي منكم، إذا كنت تفهمين ما

أعنيه. إذا قررت أن المشاركة في حفلة القناطر هي قرار سياسي يميني متطرف، لن أدفع إذاً قسطها في براون في السنة المقبلة. يمكنها الذهاب وحفر الخنادق في نيكاراغوا أو السلفادور، أو حيث تظن أنه يجدر بها الذهاب، وترى بنفسها كيف تكون حياة الراديكالي السياسي. وإذا لم تنتبه لنفسها، سوف تنتهي في السجن".

"لن تذهب إلى السجن، تشونسي"، قالت أولمبيا، وهي تبدو يائسة. كان تشونسي الطرف الآخر من السلسلة، ولهذا السبب ربما كانت فيرونيكا متطرفة جداً في ردة فعلها حياله. فما من أحد في هذا الكوكب متفاخر أكثر من تشونسي وزوجته. يظنان أن العالم أجمع يملك أحصنة بولو، أو يجدر به ذلك، وأنه ما من أحد موجود على الأرض إلا أولئك المنتمين إلى الطبقة الراقية. هي أيضاً لا تحب وجهة نظره. إذا توجب عليها اختيار إيديولوجية معينة، لفضلت إيديولوجية هاري، لكنه يتصرف الآن بسخافة هو الآخر. "لديها ضمير اجتماعي قوي. علينا فقط تهدئتها، وحين تهدأ سوف ترى أن أحداً لن يتأذى نتيجة الحفلة. إنها فقط سهرة ممتعة وشيء جميل لهما. لا تتشاجر معها، وإذا هددتها بشأن قسطها، يحتمل أن تفعل شيئاً سخيفاً وتقرر عدم الذهاب إلى الجامعة".

"هذه هي نتيجة زواجك من يهودي راديكالي". كانت كلماته مثل الطلقات النارية، فيما جلست هي بلا حراك على كرسيها. لم تصدق أن لديه الجرأة لقول شيء مثل هذا. أرادت أن تخنقه.

"ما الذي قلته للتو؟" قالت بصوت جليدي.

"سمعت ما قلته"، أجابها بنبرة أرستقراطية متعجرفة. يبدو متفاخراً كثيراً أحياناً كما لو أنه في أفلام الثلاثينيات. لم يعد أحد يتحدث بهذه الطريقة، مهما كانت رتبته في المجتمع، باستثناء تشونسي وفيليسيا ومجموعة قليلة من المتفاخرين مثلهما.

"لا تتجرأ على قول شيء مثل هذا أمامي مجدداً. لا تصلح حتى لمسح قدميه. لا عجب أن تكون فيرونيكا متطرفة جداً في هذه الأمور، مع وجود مثال مثلك. يا إلهي، هل أزعجت نفسك يوماً لتلاحظ أن هناك عالماً كاملاً من الأشخاص، وليس أغبياء مثلك مع أحصنة بولو؟" لم يعمل في أية مهنة حقيقية منذ عشرين عاماً. عاش في البداية على حساب جدته، ومن ثم استعمل إرثه، وهي تعتقد أنه يعيش اليوم هو وفيليسيا من الأموال الموروثة أيضاً. إنهما ثنائي عديم الجدوى لم يحقق أبداً أي شيء للجنس البشري ولن يفعل ذلك قط. وربما تحاول فيرونيكا التكفير عن ذنوب لا مبالاتهما تجاه بقية الجنس البشري.

"لقد فقدت صوابك حين غيرت دينك، أولمبيا. لم أفهم أبداً كيف أمكنك فعل ذلك. أنت من آل كراوفورد بحق الله".

"لا، أنا من آل روبنشتاين"، قالت بوضوح. "أحب زوجي. كان تحولي إلى دينه مهماً بالنسبة إليه. وليس هذا من شأنك. ديانتي هي من شأني أنا، وليست شأنك أنت". كانت غاضبة منه. إنه الحاقد العنصري الذي كان هاري يعارضه حين قال إنه لن يذهب إلى الحفلة.

"لقد خنت كل ميراثك لمجرد إرضاء رجل هو من بقايا لينين"، قال تشونسي بحزم.

"لا تعرف عما تتحدث. ما نناقشه هنا هو حفلة نريد أن تحضرها ابنتانا، وليس سياستك أو سياستي. اترك لينين لي. المشكلة هي فيرونيكا وليس هاري".

"يبدوان مثل شخص واحد بالنسبة إليّ". وفي الواقع، إنهما كذلك في الوقت الحاضر، لكنها لا تريد الاعتراف له بذلك. عليها أولاً تهدئة فيرونيكا، ومن ثم تستطيع العمل مع هاري. إنه رجل منطقي وهي تعرف أنه سيوافق في النهاية. أما تشونسي فهو قصة أخرى، وإذا كانت هناك فرصة ليبدو فظاً وجاهلاً ومثيراً للفوضى، فهو لا يفوتها أبداً. وكانت فيليسيا سخيفة أكثر منه.

لا تستطيع أولمبيا أن تتخيل كيف تزوجته، حتى في عمر الثانية والعشرين. والآن، في عمر الرابعة والأربعين، تفضل أن تقطع رأسها على أن تتزوجه ولو لعشر دقائق. فمجرد الكلام معه يصيبها بالجنون.

"لا أريدك أن تهدد فيرونيكا بشأن قسطها. فإذا فعلت ذلك، سوف تفعل هي شيئاً أكثر غباء. فلنحصر المسألة في الحفلة وليس في القسط أو المدرسة. لا يمكنك فعل ذلك بالفتاتين. أستطيع أخذك إلى المحكمة إذا اضطررت لذلك". إنه ملزم بدفع أقساط الفتاتين، رغم أنها تعرف أنه غبي كفاية بحيث لا يدفع شيئاً لمجرد إثبات رأيه، رغم العواقب التي قد تترتب عن ذلك.

"هيا، خذيني إلى المحكمة، أولمبيا. لا أمانع إذا فعلت. إذا لم توصلي رسالتي إلى فيرونبكا، سأفعل. فقط للتأكد من أنها لن

تفعل شيئاً غبياً، يمكنك إخبارها بأني لن أدفع القسط لهما معاً، إلا إذا ذهبتا معاً إلى الحفلة في العيد القادم. لا تريد فيرونيكا أن تفوّت الحفلة على جيني، وإذا لم توافق فيرونيكا على الذهاب إلى الحفلة، فسوف تفعل لأجل جيني. لا يهمني إذا وضعتني في السجن. لن أدفع سنتاً واحداً لهما، إلا إذا شاركتا معاً في الحفلة. كبّلي يديّ فيرونيكا، أو أعطيها مسكّناً إذا اضطررت، لكن عليها الذهاب إلى حفلة القناطر!" كان عنيداً جداً مثل ابنته، لا بل أكثر. سوف يحول المسألة إلى حرب كبيرة لهم جميعاً. لقد أصبح الجميع خارج السيطرة، وكل ذلك بسبب حفلة راقصة.

"هذا ليس عادلاً مع فيرجينيا. هذا ابتزاز تهديدي، تشونسي. فالوضع السيئ يعزى كله أساساً إلى موقف فيرونيكا. جيني تريد الذهاب إلى الحفلة، وليست هذه غلطتها إذا كانت أختها غير منطقية. لا تكن أنت غير منطقي أيضاً".

"سوف أجعل فيرجينيا رهينة، لإعادة فيرونيكا إلى صوابها". كان يجعلها هي أيضاً رهينة. فهي لا ترغب في رفع دعوى قضائية ضده بسبب القسط الجامعي. سوف يكرهها الأولاد لأجل ذلك، وسوف تصبح فيرونيكا أكثر غضباً، كما أن تشارلي سيغضب هو أيضاً. إنه تهديد سخيف جداً من قبله. هي تعرف تماماً أن تشونسي غبي كفاية لفعل ذلك والمضي قدماً.

"أوه، بحق الله، تشونسي، هذا أمر مقرف. إنها مجرد حفلة ولا تستحق أن تتشاجر عائلتان بسببها، وعدم دفع قسط الفتاتين في الكلية". ولا بد من الإشارة إلى أن دفع كامل القسطين، بالإضافة إلى حصتها في قسط تشارلي، سيكلفها الكثير، مما

سيغضب هاري أكثر. صحيح أنهما يستطيعان تحمل التكاليف، لكن يجدر بتشونسي الدفع عن أولاده. ومعاقبة جيني بسبب موقف فيرونيكا بدا مقرفاً بالنسبة إليها. لكن هذا هو تشونسي، المراوغ دوماً إلى أقصى الحدود. إنها تكرهه بسبب ذلك، وهي تفعل ذلك منذ سنوات. كان دائماً يضغط عليها لأمر ما، وهو الآن يفعل الشيء نفسه مجدداً، بسبب حفلة فتيات. بدأت تشعر هي أيضاً أن الأمر تحول إلى جنون.

"لن أقبل بوجود ابنة لا تريد الذهاب إلى حفلة القناطر. بحق الله، أولمبيا، فكري في الإحراج الذي يمكن أن يسببه ذلك".

"أستطيع التفكير في أمور أسوأ"، قالت أولمبيا مكتئبة. لكن تشونسي لا يستطيع بلا أي شك. فعدم المشاركة في الحفلة الراقية للفتيات أسوأ من الموت بالنسبة إليه. أرادت أولمبيا أن تستمتع الفتاتان، حتى لو بدا ذلك سخيفاً، لكنها لم تكن ترغب في تهديد حياتهما بسبب ذلك. إذا رفضت فيرونيكا فعلاً المشاركة، لن تجبرها أبداً، وسيبقى باستطاعة فيرجينيا الذهاب، مع أختها التوأم أو من دونها. فخطة تشونسي لاعتبارها بمثابة رهينة هي فكرة متطرفة جداً وغير عادلة أبداً، بالنسبة إليهم جميعاً، ولها هي أيضاً.

"لا أستطيع التفكير في أي شيء أكثر إذلالاً، وأنا لن أستسلم لها. يمكنك إبلاغها رأيي أولمبيا".

"لماذا لا تقول لها ذلك بنفسك؟" قالت أولمبيا وهي متعبة من وجودها في الوسط. سوف يجعل ذلك فيرونيكا أكثر سخطاً عليها. إذا أراد تهديدها إلى هذه الدرجة، فليفعل ذلك بنفسه.

"سأفعل"، قال لها وبدا غاضباً. "لا أعرف كيف ربّيت هاتين الفتاتين. تملك جيني على الأقل بعض المنطق".

"أظن أننا نحتاج إلى تهدئة الأمور"، قالت أولمبيا بحذر. "نستطيع مواجهة ذلك في سبتمبر أو لاحقاً. سوف أسجل كلتا الفتاتين في الحفلة، وأرسل الشيك". فالمبلغ بسيط على أية حال. لم تكن المسألة عدم القدرة على دفع الكلفة، وإنما هي مسألة لون الدم الذي يجري في عروقك. كل شيء غير نبيل ليس مقبولاً. "لا حاجة لأن تعرف فيرونيكا حتى أني سجلتها. يمكننا إخبارها بأننا سنقرر المسألة في الخريف، ونريحها لبقية الصيف".

"لا أريد أن يكون هناك أي شك في عقلها بأنها لن تشارك في الحفلة الراقية في الشتاء المقبل. أريد أن يكون هذا واضحاً بالنسبة لها".

"أنا واثقة من أنك ستفعل ذلك"، قالت الأم وهي تتخيل الانفجار الذي سيحصل. فإذا استفزّها والدها، فإنه بذلك يساعدها على تحويل هذه المسألة إلى قضية كبيرة. كان غبياً في التعاطي مع الأشخاص، ولم يتعاطَ يوماً بصورة جيدة مع الفتاتين، ولا معها هي. لديه حدة ذهن ومبادئ تجعل حتى أولمبيا ترغب بأن تصبح "شيوعية"، على حدّ قوله هو. "إذا كانوا بحاجة إلى صور للفتاتين، أستطيع إرسال صورتين لفيرجينيا". فمع التوأمين المتشابهتين، لن يلاحظ أحد الفرق لحسن الحظ. "نستطيع أنا وجيني أن نشتري لها فستاناً. لِمَ لا تدع الأمور تسير لوحدها، تشونسي. سوف أهتم بالمسألة على طريقتي".

"احرصي على فعل ذلك. وإذا لم تستوعب الأمر، سوف أتدخل".

"شكراً لمساعدتك"، قالت بطريقة ساخرة، ووصلت له الرسالة.

"هل تريدين التحدث إلى فيليسيا؟" زمجرت أولمبيا تقريباً عندما سمعت اقتراحه. فيليسيا معروفة بعدم لباقتها وعدم شعبيتها مع كلتا الفتاتين. إنهما تتقبلانها لأجل والدهما، لكنهما تعتبرانها فظة وغبية. وكانت أولمبيا توافقهما الرأي.

"سوف أتعاطى مع المشكلة بنفسي". نجحت في إقفال الهاتف معه قبل أن تفقد أعصابها، وهذه أعجوبة صغيرة. فكل شيء في تشونسي والكر يجعلها ترغب في خنقه. كانت لا تزال غاضبة من حديثها معه حين اتصلت بها حماتها بعد الظهر. كان لدى أولمبيا الكثير من العمل لإنجازه، وتحضر دعوى قضائية، حين أخبرتها سكرتيرتها أن السيدة روبنشتاين على الهاتف. لم يكن لدى أولمبيا أي فكرة عما تريده حماتها. تمنت فقط ألا تكون الحفلة. فمن غير عادة هاري أن ينتحب أمام أمه، لكن كل شيء أصبح ممكناً الآن. فقد أصبحت كل العائلة متأهبة، من نيوبورت إلى نيويورك.

"مرحباً فريدا"، قالت أولمبيا، وهي تبدو متعبة. كانت متوترة بسبب المسائل العائلية، ولديها يوم طويل في العمل. "هل كل شيء على ما يرام؟"

"أنت قولي لي. اتصلت بي فيرونيكا وقالت إنها غاضبة منك وتريد قضاء الليلة عندي". زمّت أولمبيا شفتيها. لم تحبذ فكرة محاولة هروب فيرونيكا من مشاكل المنزل، رغم أنها عرفت بالعلاقة الوثيقة التي تجمع الفتاتين بوالدة هاري. كانت امرأة

لطيفة وحنونة وحكيمة، وذات قلب كبير، وتحب أولاد أولمبيا كما لو أنهم أولادها. "أريد معرفة ما تريدين مني أن أفعله".

"أقدّر ذلك. في الواقع، أظن أنه من الأفضل لها أن تبقى في المنزل لبضعة أيام حتى نسوّي المسألة، أو على الأقل حتى تهدأ الأمور. يمكنها ربما المكوث عندك في عطلة نهاية الأسبوع مع ماكس، إذا أراد ذلك هو أيضاً".

"هذا جيد. تعرفين أني أحب وجودهم معي. هل تريدين إرسال جيني أيضاً؟"

"في الواقع، اختلفت الفتاتان مع بعضهما"، قالت أولمبيا مع تنهيدة.

"لماذا؟"

"من الغباء التحدث عن ذلك، ويصعب شرحه". لم تقل فريدا لكنتها أن هاري أخبرها كل شيء. لقد جاء لتناول الغداء، على غير عادته، وأخبرها بالأمر. كان رأيها في المسألة مختلفاً تماماً عن رأيه، ولم تتردد في قول ذلك. أخبرته أنه يبالغ كثيراً في المسألة، وقالت إن الحفلة تبدو ممتعة بالنسبة إليها. لم تشعر بوجود تمييز عنصري أو اضطهاد. وحين قال لها ساخراً إن هذا حدث عِرقي، وبّخته على سخافته وردة فعله المفرطة. فهذا لا يختلف عن أي ناد. وهذا النادي هو واحد للفتيات البروتستانتيات الشابات. أشارت له إلى عدم وجود نساء كاثوليكيات أيضاً في ناديها اليهودي، ولم يضايقهنّ أحد أو يقاطعهنّ. لكل النوادي الحق في السماح بدخول من يريدون، وهي ترى أن هذه فرصة رائعة للفتاتين. رأت أنه يجدر بفيرونيكا

الذهاب إلى الحفلة، وقررت إخبارها ذلك، إذا أتيحت لها الفرصة. قال لها هاري إنها ليبرالية جداً برأيه، وغادر شقتها على عجل بعد الغداء. كان لا يزال غاضباً حين عاد إلى مكتبه. لم تسمع أولمبيا أي شيء عنه طوال اليوم. "أنا آسفة لأن فيرونيكا أزعجتك بذلك"، اعتذرت أولمبيا. "إنها زوبعة في فنجان، لكن الجميع يحترق في الوقت الحاضر".

"كيف أستطيع المساعدة؟" قالت فريدا بطريقة واقعية. كانت امرأة رائعة وذكية، وذات طلة شابة نسبة إلى عمرها، وطبيعة متسامحة بطريقة مذهلة، نظراً لتجارب الطفولة التي عاشتها. نادراً ما كانت تتحدث عن الأمر، لكن أولمبيا عرفت من هاري كم كان الأمر فظيعاً ومدمراً بالنسبة إليها، أن تفقد كل عائلتها وتعاني من العذاب في المخيمات. لقد عانت من الكوابيس طوال سنوات وخضعت لعلاج حكيم. كان موقفها استثنائياً، ولا تكنّ لها أولمبيا سوى أعمق التعاطف والاحترام. وشعرت بأنها محظوظة لأنها قريبة لها.

"لا أظن أنك تستطيعين المساعدة فريدا. سوف يهدأون. إنها قصة طويلة وسخيفة. تمت دعوة الفتاتين للاشتراك في حفلة راقصة للفتيات الشابات شاركت أنا فيها قبل أعوام. إنه تقليد قديم، وإنما جميل للفتيات اللواتي يردن المشاركة. ثمة أغبياء مثل تشونسي يحاولون جعل الحفلة شرطاً مسبقاً للحياة الحقيقية، لكن الحقيقة ليست كذلك. إنها مجرد حفلة جميلة جداً، وسطحية، وإنما تذكّر بالسندريلا. وهي برأيي لا تسبب الأذى لأحد. أعتقد أنها للنخبة، لكن هاري يرى أنها حدث نازي جديد. تظن فيرونيكا

أني فاشية، ويرى تشونسي أننا شيوعيون، ويقول إنه لن يدفع القسط الجامعي للفتاتين إذا لم تذهبا معاً إلى الحفلة، وهذا غير عادل. لم تسمع فيرونيكا بهذا الخبر بعد، لكن كما هو الحال هذا الصباح، ترفض المشاركة في الحفلة وتهدد بالانتقال للعيش معك لأن مبادئي فظيعة. أما جيني فترغب بشدة في المشاركة. يقول هاري إنه لن يذهب، ويتصرف كما لو أنه يريد الطلاق مني. جنّ جنون تشارلي على فيرونيكا. الفتاتان تخاصمتا، والجميع يكرهني. الشخص الوحيد العاقل الذي بقي في العائلة هو ماكس، الذي يقول إن هذه الحفلة فوضى كبيرة بحيث يجدر بالفتاتين البقاء في المنزل". ضحكت المرأتان على نصيحة ماكس. "لا أعرف ما يجب فعله. لا تستحق المسألة كل هذه الفوضى، لكن فقط بسبب الحنين والتقاليد، أودّ أن تشارك الفتاتان في الحفلة. لم أفكر أبداً في أن يتحول الموضوع إلى مشكلة كبيرة للجميع. بدأت أشعر أني وحش يطلب منهما الذهاب إلى الحفلة. وهاري غاضب مني". بدت حزينة جداً فيما شرحت كل ذلك لفريدا.

"قولي لهم جميعاً أن يرتاحوا"، قالت المرأة الكبيرة بحكمة. "اذهبي لشراء فستان مع جيني، واشتري واحداً لفيرونيكا. قولي لابني أن يقنع نفسه. النازيون يشعلون النار في دور عبادة اليهود في ألمانيا، ولا يملكون الوقت لحفلات الأفراح أو حتى الأحزان". لقد قالت له هذا بنفسها. "لا تكترثي لهم تحتاج فيرونيكا للتنفيس عن غضبها. ستذهب إلى الحفلة في النهاية. ماذا سترتدين؟" سألت فريدا باهتمام وضحكت أولمبيا. كان هذا السؤال الأكثر إقناعاً الممكن طرحه.

"سترة المجانين إذا لم يهدأ الجميع". ثم فكرت في شيء ما وتساءلت ماذا ستكون ردة فعل حماتها، نظراً لما قاله هاري. "فريدا، هل تودين الحضور؟"

"هل أنت جادة؟" بدت مذهولة. فبعد ما سمعته من هاري، افترضت أن هذا لن يكون ممكناً إذا كان الحدث في الواقع مناهضاً للسامية، ولن تطلب أبداً المشاركة، أو تتوقعها أصلاً. لكن رغم هذا الافتراض، رأت أنه يجدر بالتوأمين حضور الحفلة، سواء كانت هي هناك أم لا. كانت كريمة جداً بعدم فرض نفسها أبداً على كنتها أو ابنها أو أولادهما. كانت كتومة جداً، وتعاملت بطريقة رائعة مع أولمبيا منذ البداية، على عكس حماتها الأولى التي كانت وحشاً، وأكبر متفاخرة على وجه الأرض، تماماً مثل ابنها. لم تكن التفاحة مختلفة كثيراً عن شجرتها الأم، في كلتا الحالتين.

"طبعاً أنا جادة"، طمأنتها أولمبيا، شاكرة دعمها.

"ظننت أنه لا يسمح بدخول اليهود والسود"، قالت بحذر. هذا ما قاله هاري أثناء الغداء، وأحد الأسباب التي جعلته غاضباً جداً.

"لم يكتبوا ذلك على بطاقة الدعوة"، رغم أنه في الأيام الغابرة، كانت هناك قواعد استثناء متعارف عليها. لكن أولمبيا افترضت أن كل الأمور تغيرت الآن. لم تذهب إلى مثل هذه الحفلة منذ أعوام. كانت حفلة القناطر الحفلة الراقصة الأكثر تميّزاً للفتيات الشابات، والأكثر فرادة واستثنائية على الإطلاق. لكنها لم تفكر في عدم دعوة فريدا للانضمام إليهم في الحفلة، مهما كان رأي الآخرين أو مهما كانت المعايير الحالية. "ومن يهتم لما

يفكرون به؟ أنت من عائلتنا، وسوف تحزن الفتاتان إذا لم تكوني موجودة. وكذلك أنا".

"أوه، يا إلهي، لم أفكر أبداً... لم أتصور أبداً... سوف يغضب هاري... لكني أودّ المجيء. ماذا سأرتدي؟"

ضحكت أولمبيا، مرتاحة. فلقد بدت حماتها متحمسة.

"سوف نعثر على شيء. نستطيع أنا وأنت الذهاب للتسوق في الخريف. سوف نشتري شيئاً جميلاً جداً". أدركت أولمبيا فجأة أن الحدث مهم جداً لحماتها، بقدر ما هو مهم لجيني، ولهاري في الاتجاه المعاكس. إنه يمثل كل شيء حرمت منه خلال طفولتها، وكان شكلاً من النصر وتثبيت الشرعية بالنسبة إليها. لم تحضر أية حفلات خلال شبابها. كان هناك فقر وعمل شاق في معامل الكنزات. وإدراكها لرغبة كنّتها في وجودها في حدث كهذا عنى الكثير لها، ولم تكن أولمبيا لتحرمها منه لأي سبب كان. استطاعت أولمبيا أن تفهم من صوت فريدا كم أن هذا الأمر مهم بالنسبة إليها.

"عليّ العثور على شيء مع أكمام طويلة"، قالت بنعومة، وفهمت أولمبيا. أرادت تغطية الوشم، كما فعلت دوماً.

"سوف نعثر على الفستان المثالي، أعدك بذلك"، قالت أولمبيا برفق.

"جيد. سوف أقنع فيرونيكا في عطلة نهاية الأسبوع. لا يجدر بها إفساد الأمر على أختها. لن يعرف سيزار شافيز أبداً أنها ذهبت، وسيكون ممتعاً أكثر إذا ذهبتا معاً إلى الحفلة. وقولي لابني ألا يعقد الأمور كثيراً. ليس مضطراً لارتداء توكسيدو. وإذا قرر عدم الذهاب، سوف نمضي وقتاً جيداً من دونه. لا يزال شهر

ديسمبر بعيداً، وسوف يهدأ الجميع حتى ذلك الحين. لا تدعي أحداً يغضبك"، قالت فريدا بصوت حنون، عرفته أولمبيا طوال الثلاثة عشر عاماً من زواجها من هاري. لقد فازت أولمبيا بحب حماتها وثقتها إلى الأبد حين تحولت إلى اليهودية. كانت فتاة مذهلة، وقالت فريدا إنها لا ترى أي خطب في الفتيات اللواتي يشاركن في حدث اجتماعي راقٍ. في الواقع، إنها كانت متحمسة هي نفسها للذهاب إلى الحفلة. "سوف أضع على مفكرتي أننا سنذهب للتسوق في سبتمبر، ما إن يتم عرض فساتين الخريف. أفكر ربما في المخمل الأسود. ما رأيك في ذلك؟"

"يبدو لي أنك المرأة الأكثر روعة التي عرفتها في حياتي"، قالت أولمبيا والدموع في عينيها. "أنا محظوظة لأني عرفتك".

"انسي الأمر. سيكون كل شيء على ما يرام. سوف يتخطى هاري المشكلة. إنه أحمق ويفرط في ردة فعله". لقد كانوا جميعاً يفرطون في ردات فعلهم. "يجدر به نسيان مبادئه لليلة واحدة، والاستمتاع بالحفلة وتناول عشائه، وعدم تسبيب مثل هذه المعاناة لك".

شعرت أولمبيا بالتحسن ما إن أقفلت الخط. لكن على الرغم من الطمأنة المريحة لحماتها، كانت لا تزال تبدو متعبة ومتوترة. أصبحت الساعة قرابة الخامسة، وأرادت العودة إلى المنزل للقاء ماكس. دخلت إحدى شريكاتها إلى مكتبها بعد خمس دقائق، ولاحظت وجه أولمبيا.

"تبدين وكأنك استمتعت كثيراً بيومك"، قالت لها مارغريت واشنطن مع ابتسامة متعبة. لقد واجهت يوماً صعباً

هي أيضاً، إذ عملت على قضية استئناف لدعوى مقامة ضد مجموعة من المعامل التي تطمر نفايات سامة، وخسرت الدعوة. ذهبت إلى هارفارد لنيل الشهادة، ومن ثم إلى كلية يال للحقوق. صودف أنها أفريقية أميركية و لم تكن أولمبيا قلقة من شرح مشاكلها لها، لكن بعد تطويق الموضوع بحذر طوال خمس دقائق، نطقت أخيراً بالمشكلة أمامها. كانت ردة فعل مارغريت مماثلة تماماً لردة فعل حماة أولمبيا. "أوه، بحق الله، نحن نسمم البيئة، نبيع السجائر والكحول، وأصبح نصف شباب الوطن مدمنين على المخدرات التي يستطيعون شراءها من زوايا الشوارع، من دون أن ننسى الأسلحة. لدينا أعلى معدلات الانتحار في العالم بين الشباب ما دون الخامسة والعشرين، وننخرط في حروب ليست أبداً من شأننا في كل مرة. أصبح الضمان الاجتماعي مفلساً أو على وشك ذلك، والأمة قابعة تحت وطأة الديون. السياسيون فاسدون في معظم الأحيان، والنظام التربوي ينهار، وأنت تشعرين بالذنب لأن ابنتيك ستؤديان دور السندريلا ليلة واحدة في حفلة راقصة راقية؟ لحظة من فضلك. دعيني أخبرك شيئاً. ما من نساء من العرق الأبيض في نادي البنغو الذي تذهب إليه أمي في هارلم، وهي لا تشعر بالذنب ولو لدقيقة واحدة. يعرف هاري الأمر بصورة أفضل. لَمَ لا تقولين له أن يسأل أحداً؟ هذه ليست حركة شبابية نازية. إنها مجموعة من الفتيات السخيفات في فساتين بيضاء جميلة. أوه، لو كنت مكانك، ولديّ ابنة، لأجبرتها على المشاركة أيضاً. ولن أشعر بالذنب أبداً. اطلبي من الجميع أن يرتاحوا. هذا لا يزعجني، وقد واجهت كل شيء

تقريباً في هذا العالم أثناء أيام الكلية ومدرسة الحقوق. لذا، لن يثير هذا الحدث دهشتي".

"هذا ما قالته حماتي. قال هاري إن هذا يقلل من احترام كل فرد من أفراد عائلته الذين ماتوا في المحرقة. جعلني أشعر وكأني إيفا براون".

"تبدو حماتك منطقية أكثر. ماذا قالت أيضاً؟" سألت مارغريت باهتمام. كانت امرأة رائعة المظهر، أصغر من أولمبيا ببضع سنوات، وكانت تعرض الأزياء في الكلية. عملت في مجلتي هاربرز بازار وفوغ لدفع قسطها في جامعة هارفارد.

"أرادت أن تعرف ما هو رأيي في المخمل الأسود ومتى نستطيع الذهاب لشراء فستانها".

"بالضبط. هذا هو رأيي تماماً. اللعنة عليهم جميعاً، أولي. قولي لابنتك الثائرة أن تهدأ، ولزوجك أن يستسلم. لن تعرض الحفلة على شاشة الرادار، ولا يفترض بها أن تكون كذلك. ويبدو زوجك السابق مثل أحمق حقيقي".

"هو كذلك. لو أتيحت له الفرصة، لأحدث فتنة. يفضل أن تكون لديه ابنة تعيش لوحدها وليس ابنة لا تشارك في الحفلة الراقصة. أريدهما فقط أن تستمتعا، وتفعلا تماماً مثلما فعلت أنا. في أيامي أنا، لم تكن المسألة مهمة، وإنما شيئاً تقومين به. لقد شاركت في الحفلة في السبعينيات، علماً أن الجميع كان يرفض ذلك في الستينيات، فيما كنت مجبرة على المشاركة في الأربعينيات والخمسينيات للعثور على زوج. لم تعد الحال كذلك على الإطلاق. إن المسألة هي مجرد ارتداء فستان والذهاب إلى حفلة.

هــذا كل ما في الأمر. ليلة واحدة للحفاظ على التقاليد وإعداد ألبوم العائلة. وليس سخرية من القيم الاجتماعية".

"صــدقيني، لم أفكــر ولو لليلة واحدة في الأمر حين كنت صــغيرة، وكنت أعرف فتيات في هارفارد اشتركن في الحفلة في نــيويورك وبوسطن. في الواقع، إن بعضهنّ دعاني للذهاب، لكني كــنت أعــرض الأزياء في شيكاغو في عطلة نهاية الأسبوع تلك لتسديد ثمن القسط".

"أتمــنى أن تــأتي"، قالت أولمبيا بكرم وابتسمت مارغريت ابتسامة عريضة.

"أودّ ذلــك". لم تفكر أولمبيا أبداً، ولو من بعيد، في ما إذا كان وجود مارغريت هناك سيسبب مشكلة، و لم تهتم لذلك. لقد وجهــت الدعوة لغاية الآن لامرأة يهودية ولامرأة أميركية ذات أصــول أفريقية، فيما هي نفسها أصبحت يهودية الآن. وإذا لم تحــبذ اللجنة هذا الأمر لسبب ما، رغم أنها تشك في ذلك، فلن تكترث للأمر.

"أتمنى أن يأتي هاري أيضاً"، قالت وهي تبدو حزينة. كانت تكره التشاجر معه.

"إذا لم يفعل، تكون هذه خسارته وسوف يبدو غبياً. امنحيه الوقت لينــزل عن حصانه العالي. يفترض أن يستوحي شيئاً من موافقة أمه على الحضور ويعتبر حينها أنه من الضروري مشاركة الفتاتين في الحفلة".

"نعــم"، قالت أولمبيا مع تنهيدة. "الآن كل ما عليّ فعله هو إقناع الفتاتين، أو فيرونيكا على الأقل. وإلا، يمكنها هي وهاري

تفويت الحدث. يستطيعان ربما إعداد حملة تواقيع معارضة للنساء اللواتي يرتدين الفرو".

ضــحكت المــرأتان، وبعد نصف ساعة عادت أولمبيا إلى المنــــزل. كان الجو في المنــــزل متوتراً تلك الليلة. لم يلفظ أي منهم بكلمة أثناء العشاء، لكن على الأقل، الجميع جلس وتناول طعامــه هذه المرة. وفي الوقت الذي ذهبوا فيه إلى السرير في تلك اللــيلة، كان هاري مسترخياً قليلاً. لم تناقش معه مسألة الحفلة، ولا مــع فيرونيكا. لم تتطرق إلى الموضوع مع أي منهما، إلى أن جُنّ جنون فيرونيكا بعد ثلاثة أيام حين تلقت رسالة من والدها.

لقد هددها بعدم دفع قسطها أو قسط جيني في الجامعة إذا لم تذهــبا معــاً إلى الحفلة الراقصة. وبخته ولامته بقسوة على مدى قــرفه، ومراوغته، وفظاعته في أخذها رهينة واستفزازها. لم تعلّق أولمبــيا على تهديده، لكنها لاحظت أن الفتاتين عقدتا الصلح مع بعــضهما بعــد ذلك. لم تقل فيرونيكا إنها ستذهب إلى الحفلة، لكنها لم تعد تقول إنها لن تفعل. لم تشأ أن تؤذي أفعالها أختها، أو تجبر أمها على دفع كل أقساطهما. أصبحت غاضبة من والدها الآن وكانــت تنتقد علناً القيم اللعينة التي لديه، وكم هو سافل، وكيف أن الأمر كله غباء.

أرسلت أولمبيا الشيك إلى القناطر نيابة عن الفتاتين وأكّدت لهــم أن كلــتا الفتاتين متحمستان كثيراً لحضور الحفلة. لم تعد تــتحدث عــن الأمر مع هاري، وتصوّرت أن لديهم الكثير من الوقت لحل المشكلة قبل ديسمبر. تعليقه الوحيد لها كان في إحدى الليالي بعدما عاد تشارلي إلى المنــزل من دارتماوث لقضاء عطلة

نهاية الأسبوع وذكر الأمر. قال هاري فقط ثلاث كلمات لكليهما، لكن هذه الكلمات اختصرت كل شيء.

"أنا لن أذهب"، قال ثم غادر الغرفة، تاركاً أولمبيا تناقش المسألة مع ابنها البكر.

"حسناً"، قالت أولمبيا بهدوء، متذكرة ما قالته أمه ومارغريت واشنطن. لديها سبعة أشهر لتغيّر رأيه.

وافق تشارلي على مرافقة جيني للرقص في الحفلة، رغم أنها تعرفت أخيراً إلى شاب يعجبها. لقد أخذت بنصيحة أمها بعدم دعوة شخص تقيم معه علاقة رومنسية لمرافقتها إلى الحفلة. فالكثير من الأمور قد تتغير خلال سبعة أشهر. كانت أولمبيا تعتمد على ذلك. لا تزال بحاجة إلى تغيير رأي هاري وفيرونيكا. في الوقت الحاضر على الأقل، يبدو أن الجميع قد هدأ.

الفصل 3

حين عاد تشارلي إلى المنزل من دارتماوث لقضاء فصل الصيف، بدا بالنسبة لأمه هادئاً. لقد أبلى حسناً في المدرسة، وكان يلعب التنس، ولعب هوكي الجليد طوال الشتاء، وبدأ يتعلم الغولف. شاهد كل أصدقائه، وخرج للسهر مع أختيه، وواعد إحدى صديقات فيرونيكا. كما رافق ماكس للعب الكرة في سنترال بارك، وأخذه إلى الشاطئ في لونغ آيلند في يونيو. لكن بالرغم من مشاغله، كانت أولمبيا قلقة بشأنه. بدا أكثر هدوءاً من المعتاد بالنسبة إليها، بعيداً، وغريب الأطوار. كان يغادر بسرعة إلى عمله في المخيم في كولورادو، ويدعي أنه يتطلع شوقاً لذلك. لم تستطع أولمبيا مواجهة الأمر، لكنه بدا لها حزيناً وغير مرتاح مع نفسه.

ذكرت الأمر أمام هاري بعدما لعبا التنس صباح يوم سبت، فيما كان تشارلي يهتم بماكس. كانت تحب هي وهاري لعب التنس والسكواش مع بعضهما. فهذا يعطيهما وقتاً لوحدهما، ويوفر الاسترخاء لهما معاً. كانا يحبان الوقت الذي يقضيانه لوحدهما، وهذا نادر، لأنهما يمضيان معظم الأمسيات وعطلات نهاية الأسبوع مع ماكس. ومع وجود تشارلي في المنزل، أصبح

هناك مربية دائمة. فقد كان يتطوع دوماً بسرعة للاهتمام بماكس نيابة عنهما.

"لم ألاحظ أي شيء"، قال هاري وهو يمسح وجهه بمنشفة بعد انتهاء اللعبة. لقد تغلب عليها، ولكن بالكاد. أديا معاً لعبة جيدة وكانا رائعين. لقد شاركته مخاوفها بشأن تشارلي، وتفاجأ هو لسماع أولمبيا تقول إن تشارلي غريب الأطوار. "يبدو لي على ما يرام".

"ليس بالنسبة إليّ. لم يقل أي شيء، لكن حين لا يعرف أني أراقبه، يبدو مكتئباً، أو حالماً، أو حزيناً نوعاً ما، أو قلقاً. لا أعرف ما به. ربما هو غير سعيد في المدرسة".

"أنت قلقة كثيراً، أولي"، قال وهو يبتسم لها، ثم انحنى صوبها وقبّلها. "كانت هذه لعبة جيدة. لقد استمتعت بها".

"نعم"، ابتسمت له فيما وضع ذراعه حولها. "لأنك ربحت. تقول دوماً إن اللعبة جيدة حين تربح".

"غلبتني في المرة الأخيرة حين لعبنا السكواش".

"فقط لأنك أصبت بشدّ أوتار المأبض. باستثناء تلك المرة، أنت دوماً تتفوق عليّ. أنت تلعب السكواش أفضل مني". لكنها تتفوق عليه غالباً في التنس. لا يهمها فعلاً من يربح، إذ تحب فقط أن تكون معه، حتى بعد كل هذه السنوات.

"أنت محامية أفضل مني"، قال هاري وبدت هي مذهولة. لم يقل لها هذا أبداً من قبل.

"لا، لست كذلك. لا تكن سخيفاً. كنت محامياً مذهلاً.

ماذا تقصد؟ هل تحاول فقط أن تشعرني بالتحسن لأنك تغلبت عليّ في التنس؟"

"لا، ليس كذلك. أنت محامية أفضل مني أولي. عرفت ذلك حتى عندما كنت طالبة حقوق. لديك طريقة صلبة وقوية ودقيقة في إنجاز ما تقومين به، وتنجحين في الوقت نفسه في أن تكوني مبدعة في ذلك. وبعض ما فعلته مذهل فعلاً. أنا معجب كثيراً بعملك. لطالما كنت منهجياً في القضايا التي توليتها حين كنت أمارس المحاماة. لكني لم أملك يوماً الإبداع الذي لديك. بعضه ملهم فعلاً".

"واو! هل أنت جاد في ذلك؟" نظرت إليه بامتنان وسرور. كان هذا أجمل إطراء سمعته منه بشأن عملها.

"نعم. وإذا احتجت إلى نصيحة قانونية، فسوف آتي إليك في الأوقات الحرجة. لست واثقاً من أني أريد منك تعليمي التنس. لكني أريدك محاميتي في أي وقت". دفعته برفق حينها، وقبلها هو. كانت تقضي دوماً وقتاً جيداً معه. وكانت مسرورة لرؤيته مسترخياً في النهاية بعد معاركهما بشأن الحفلة. ما زال مصراً على أنه لن يذهب، لكنها لم تذكر الأمر أمامه منذ فترة. تريد أن يهدأ الأمر قبل أن تحاول مجدداً.

تحدثا عن تشارلي مجدداً أثناء عودتهما مشياً إلى المنزل. "لديّ إحساس بأن شيئاً ما يزعجه، لكن يبدو أنه لا يريد التكلم".

"إذا كنت محقة، سوف يتحدث إليك في النهاية"، طمأنها هاري. "هو يفعل ذلك دوماً". كان يعرف كم أن أولمبيا قريبة

من ابنها البكر، تماماً مثلما هي مع التوأمين، وماكس. إنها أم مذهلة وزوجة رائعة. هناك الكثير من الأمور التي أعجبته فيها ولا يزال حتى الآن. حبها واحترامها له. وهو يعرف أن لديها غريزة رائعة تجاه أولادها. وإذا كانت تظن أن شيئاً ما يزعج تشارلي، فقد تكون محقة، رغم أنها شعرت هي نفسها بالاسترخاء بعد مناقشة الأمر مع هاري. "ربما يكون قد انفطر قلبه مع فتاة". تساءلا كلاهما ما إذا كان هذا هو السبب. لم يعرف تشارلي علاقة رومنسية جدية ولا مرة. كان يخرج كثيراً ويغازل الفتيات. لكن لم تكن هناك فتاة جادة في حياته منذ عامين تقريباً.

"لا أظن أن هذا هو السبب. أظن أنه كان ليخبرني لو كانت المشكلة فتاة. يبدو لي الأمر أكثر عمقاً. يبدو حزيناً".

"سوف يفيده العمل في المخيم في كولورادو"، قال هاري فيما وصلا أمام الباب الأمامي لمنزلهما. سمعا الولدين يصرخان ما إن دخلا إلى المنزل. كان تشارلي يلعب لعبة الهنود ورعاة البقر مع ماكس، وكان من الممكن سماع أصوات معاركهما المروّعة من الطابق السفلي. استعمل تشارلي معجون الأسنان وأحمر الشفاه الخاص بأمه لرسم شارات الحرب على وجهه، وما إن رأتهما أمهما حتى انفجرت ضاحكة. كان ماكس يركض في المنزل، ملوحاً بمسدس لعبة نحو أخيه الكبير، مرتدياً قبعة رعاة البقر وسرواله التحتي. انضم هاري إلى اللعب، وذهبت أولمبيا لتحضير الغداء لهم جميعاً. كان صباحاً جميلاً.

لكنها أصبحت أكثر قلقاً بعد بضعة أيام، حين تلقت رسالة من الخدمات الاستشارية في دارتماوث. ذكرت الأمر بحذر أمام

تشارلي، وأصرّ على أنه بخير. قال لها إن صديقه انتحر خلال الفصل الثاني وإن هذا أزعجه كثيراً في حينها، لكنه أصبح يشعر بتحسن الآن. إلا أن سماع ذلك أشعرها بالقلق. فهي لا تريده أن يكوّن الفكرة نفسها، وتذكرت أنها قرأت عن أولاد لم يكشفوا عن أية علامات توتر، ومن ثم انتحروا من دون سابق إنذار. حين أخبرت هاري عن الأمر، قال لها إنها مريضة عصبياً، وذكّرها بأن فكرة حصوله على الاستشارة هي أمر جيد. فالأولاد الذين لا يحصلون عادة على العلاج أو المشورة هم الذين ينتهون بالانتحار عادة. بدا تشارلي بخير بالنسبة إليه. لعبا الغولف معاً في العديد من عطلات نهاية الأسبوع، وجاء تشارلي مرة لتناول الغداء معه في مكتبه. قال إنه كان يفكر في الذهاب إلى مدرسة اللاهوت بعد تخرجه، وأن الكهنوت يروق له. تأثر هاري بما قاله وبالأفكار التي لديه بخصوص الأشخاص والأوضاع الحرجة. تطرق تشارلي معه إلى موضوع الحفلة الراقصة مرة أو مرتين، ورفض هاري مناقشة المسألة معه. قال إنه لا يوافق على حدث يستثني أحداً، بلباقة أو أي شيء آخر، وقد أخذ موقفه.

وكذلك فعلت فيرونيكا، لكن موقفها بدا أكثر ليونة في الوقت الذي غادرت فيه الفتاتان إلى أوروبا في يوليو مع أصدقائهما. كانت جيني حينها قد اشترت فستاناً، وهو فستان سهرة جميل من التافتا الأبيض من دون حمّالتيّ كتف، مطرز باللآلئ الصغيرة على شكل أزهار ضمن إطار عريض بمحاذاة الحاشية. بدا الفستان أشبه بفستان زفاف، وكانت جيني متحمسة له. ومن دون قول أي شيء لفيرونيكا، اختارت جيني مع أمها

فستاناً ضيقاً من الساتان الأبيض مع شريط مائل على كتف واحد بحيث بدا فستاناً يمكن أن ترتديه فيرونيكا. كان فستاناً مثيراً، وممشوقاً وعاري الظهر يبرز جمال قوامها النحيل. فضّلت جيني فستانها الكبير. كان كلا الفستانين رائعين، ورغم أن الفتاتين توأمان متشابهتان، فإن الفستانين سيبرزان الفروقات بينهما ويشيران إلى أسلوبيهما المتناقضين. أخفت أولمبيا فستان الساتان في خزانتها وطلبت من فيرجينيا الاحتفاظ بسرّ شراء الفستان أصلاً. وقبل مغادرة الفتاتين إلى أوروبا، تصوّرت جيني بكلا الفستانين لبرنامج الحفلة. لم تكن هناك حاجة لمناقشة المسألة مع فيرونيكا على الإطلاق. أصبح هناك صور للفتاتين الآن، أو على الأقل هكذا يبدو. وإذا توجب عليها تجربة الفستان لاحقاً، سوف تحلان المسألة. كل شيء هادئ في الوقت الحاضر.

كانت معنويات الفتاتين جيدة حين غادرتا إلى أوروبا، وهما على علاقة طيبة مع بعضهما. غادر تشارلي إلى كولورادو بعد يومين، وغادرت أولمبيا مع هاري وماكس إلى فرنسا. قضوا وقتاً رائعاً في باريس، وزاروا كل تمثال ومتحف، وأخذا ماكس إلى حديقة اللوكسامبورغ. وشارك في حفلة مع أولاد فرنسيين، واستمتع بكل الألعاب. وفي المساء، كانا يأخذان ماكس معهما إلى المطاعم. تناول البيتزا، واللحم المشوي مع البطاطا المقلية. ذهبوا إلى برتيون في جزيرة سان لويس لتناول البوظة، وأحب ماكس الكريب التي اشتروها في الشارع في سان جيرمان. أخذاه أيضاً إلى أعلى برج إيفل. كانت رحلتهم رائعة، ورغم أن ماكس كان ينام في غرفة محاذية لغرفتهما، عاش هاري وأولمبيا وقتاً

رومنسياً. نزلوا في فندق صغير يعرفه هاري في الضفة الشمالية. وشعر ثلاثتهم بالأسف لضرورة مغادرتهم باريس. وفي ليلتهم الأخيرة، قاموا برحلة طويلة في الباتو موش في نهر السين، واستمتعوا بأضواء باريس والأبنية والتماثيل الجميلة.

بعد ذلك، ذهبوا إلى الريفييرا. قضوا أياماً قليلة في سان تروبيز، وليلة واحدة في مونتي كارلو، وبضعة أيام في كان. لعب ماكس على الشاطئ، وبدأ يفهم بعض الكلمات الفرنسية من مجموعة أولاد في سنّه. وعند انتهاء الأسبوع، كانوا هم الثلاثة مرتاحين وسعداء ومسمرّين من أشعة الشمس. قضوا أسبوعاً كاملاً وهم يتناولون حساء ثمار البحر والكركند والسمك. أرسل ماكس إلى تشارلي قميصاً قطنياً من سان تروبيز، وأرسل إليهم تشارلي مجموعة جميلة من البطاقات البريدية تتحدث عن مغامراته في المخيم. وبدا أنه يقضي وقتاً رائعاً.

شعروا بالأسى مجدداً حين حان وقت الرحيل، وانتقلت أولمبيا مع هاري وماكس من نيس إلى البندقية للقاء الفتاتين. قضوا هم الخمسة وقتاً رائعاً في البندقية. زاروا كل نُصب وتمثال. أطعم ماكس طيور الحمام في ساحة القديس ماركو، وركبوا جميعاً في الجندول تحت جسر الأمنيات. قبّل هاري أولمبيا حين مرّوا تحت الجسر، وقال سائق الجندول إن هذا يعني أنهما سيكونان لبعضهما لبقية العمر. وحين قبّلا بعضهما، عصر ماكس وجهه إلى الأعلى وابتسمت لهما التوأمان وضحكتا لماكس.

كانت رحلتهم التالية في شمال إيطاليا وفي سويسرا حيث قضوا وقتاً عائلياً لا ينسى. مكثوا في فندق جميل قرب بحيرة

جنيف، وسافروا عبر الألب، وتجولوا في لندن لبضعة أيام. قال ماكس إنه أحب كل شيء، واعترفوا جميعاً أنهم حزينون لمغادرة التوأمين إلى الجامعة. سوف يكون المنزل هادئاً جداً من دونهما. في رحلة العودة إلى نيويورك، كانت أولمبيا هادئة، متمنية لو أن الفتاتين لن تغادرا المنزل سريعاً. كانت الرحلة إلى أوروبا رائعة بالنسبة إليهم جميعاً، لكن آخر الصيف انتهى الآن.

كانت الأيام الأخيرة للتوأمين في نيويورك مسعورة فعلاً قبل مغادرتهما إلى الكلية؛ من توضيب وتنظيم كل شيء بدءاً بالكمبيوتر وصولاً إلى الدراجة الهوائية، ورؤية كل الأصدقاء. كانت جيني متحمسة لمعرفة أن العديد من صديقاتها قبلن دعوة حفلة القناطر وسوف يذهبن معها. استمرت فيرونيكا في السخرية من الموضوع، ثم حدث أن شاهدت صور جيني في كلا الفستانين قبل يوم واحد من مغادرتهما إلى براون، حين كانت تبحث عن أختام في مكتب أمها. وقفت تحدق في الصور لبرهة طويلة وهي غاضبة، مع نظرة ذهول وعدم تصديق.

"كيف أمكنك فعل ذلك؟" صرخت في وجه أمها، واتهمت شقيقتها بالكذب عليها، وانهارت جيني أخيراً.

"لَم يجدر بأمي دفع أقساطنا لمجرد أنك تريدين إبداء رأي وترغبين في جعل والدي مجنوناً؟ ليس هذا عادلاً بالنسبة إليها". رفضت فيرونيكا زيارة تشونسي في نيوبورت ذلك الصيف، احتجاجاً على الموقف الذي اتخذه. أما جيني فذهبت لوحدها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بعدما عادوا إلى المنزل من أوروبا. "ليس هذا محقاً. لماذا يجب معاقبة أمي لأنك لا تريدين الذهاب إلى

الحفل؟" كانت جيني متضايقة جداً، تماماً مثل والدة هاري، التي أخذت فيرونيكا بهدوء إلى الغداء قبل مغادرتهما، وطلبت منها التحلي بروح رياضية في هذه المسألة. وفي ليلتها الأخيرة في نيويورك، وافقت. أقسمت فيرونيكا بأنها تكره المشاركة في الحفلة، وما زالت تعارضها بشدة، لكن الموقف غير المنطقي لوالدها أجبرها أخيراً على فعل ذلك. لا تريده أن يعاقب أمها، ولذلك وافقت بتذمر. شكرتها أولمبيا كثيراً، ووعدتها بأن تحاول جعل المسألة سهلة عليها قدر الإمكان. جرّبت فيرونيكا الفستان وقالت إنها تكرهه، رغم أنه بدا مذهلاً عليها. لم تختر رفيقاً لمراقصتها بعد، لكنها وعدت بالتفكير في الأمر. عليها إعطاء اسمه للجنة بحلول فترة الشكر.

"ماذا عن أحد أصدقاء تشارلي؟" اقترحت أولمبيا، وقالت فيرونيكا إنها ستختار واحداً بنفسها. يكفي عليها الآن أنها وافقت على المشاركة في الحفلة، ولا تريد مضايقتها بشأن فكرة رفيقها، ولذلك توقفت أولمبيا عن ذلك. المعارض الوحيد الباقي كان هاري، الذي رفض حتى مناقشة المسألة معها. خاب أمله لأن فيرونيكا وافقت، لكن نظراً للموقف المراوغ والتأديبي لوالدها، وافق على أن تصرفها هذا لائق، لأجل أمها. لكن ما من عقوبة على عدم حضوره هو. رفض إعادة النظر في المسألة، وقال إنه ما من شيء على هذه الأرض يستطيع إجباره على الذهاب. كان عنيداً جداً في ذلك، وأصرّ على أنها مسألة مبدأ. حاول تشارلي التطرق إلى الموضوع معه قبل مغادرته لمباشرة سنته الأخيرة في دارتماوث، ولكنّ هاري غيّر الموضوع حين ذكر تشارلي الأمر.

كان واضحاً للجميع، ومن ضمنهم ماكس، أن هاري لن يذهب. فرغم الوقت الرائع الذي تشاركوه في أوروبا، لم يلن موقف هاري بشأن الحفلة ولو قليلاً.

تناولت أولمبيا الغداء مع تشارلي في آخر عطلة نهاية أسبوع له في المنزل، وبدا مرتاحاً وسعيداً بعد الصيف. بدا أكثر ارتياحاً مع نفسه مما كان في شهر يونيو، ولم تعد قلقة بشأنه. كان مشغولاً مع أصدقائه في المدينة، وقال إنه يتطلع بشوق للسنة الدراسية، ويخطط للتسجل في كلية اللاهوت ذلك الخريف. كان يتحدث أيضاً عن إتمام دراسات عليا في أوكسفورد، أو أخذ سنة إجازة والسفر، أو ربما القبول بالوظيفة التي عرضت عليه في سان فرانسيسكو، للعمل مع والد شريكه في الغرفة. لم يحسم قراره بعد بشأن خياراته العديدة، والتي بدت كلها منطقية بالنسبة لأمه ولهاري. شعرت بالأسف عليه أحياناً، فقد كان يبدو يانعاً جداً. وكان من الصعب جداً اتخاذ قرارات حاسمة في الحياة؛ والقرارات الصحيحة أيضاً. كان ولداً مسؤولاً، وتلميذاً جيداً، ويحظى بمحبة كل من يلتقي به. كان يفكر في مهنة التعليم أيضاً.

"مسكين ولدي، أكره أن أعود شابة مجدداً"، قالت أولمبيا لهاري في اليوم الذي تناولت فيه الغداء مع تشارلي. "يشعر أنه ممزق في أربعمئة اتجاه تقريباً. يريده والده أن يأتي إلى نيوبورت ويدرّب أحصنة البولو معه. الحمد لله أنه لا يفكر في هذا الخيار". ولا العمل في مصرف عائلة تشونسي في نيويورك. قرر عدم فعل ذلك. أراد تشارلي فعل شيء مختلف، لكنه لم يتصور بعد ما هو. رأى هاري أنه يجدر به الذهاب إلى أوكسفورد. أحبت أولمبيا

فكرة الوظيفة في سان فرانسيسكو. وكان تشارلي نفسه غير واثق. اقترح هاري أيضاً كلية الحقوق، لكن تشارلي رفضها. ما زال يفضل مدرسة اللاهوت على أي شيء آخر. "لا أستطيع تخيله كاهناً"، قالت أولمبيا بصدق، رغم أنه كان مؤمناً، أكثر من بقية العائلة.

"قد يلائمه الأمر"، قال هاري وهو يبدو كئيباً. "لن يجني المال من ذلك. من الأفضل لو فكر في خيار آخر، في شيء يدرّ عليه ربحاً أكبر". الوظيفة في سان فرانسيسكو كانت في الواقع في بالو ألتو، وهي شركة كمبيوتر، وقد شجعته أولمبيا كثيراً على التفكير جدياً في الأمر. كان يخطط للذهاب لزيارة صديقه ووالده بعد الميلاد، بعد أن يرافق أخته إلى الحفلة الراقصة. كانت العائلة كلها تخطط للذهاب إلى أسبن لقضاء الميلاد، وبدت هذه فكرة رائعة للجميع.

في اليوم الذي تلا رحيل تشارلي، ذهبت أولمبيا مع فريدا لشراء فستانيْن للحفلة. ذهبتا إلى ساكس وبيرغدورف، وعثرتا أخيراً على فستانين عند بارنيز هما تماماً ما تريدانه. فستان ضيق من الساتان الكحلي لأولمبيا مع دثار متناسق، وفستان طويل الأكمام وعالي الياقة من المخمل الأسود لفريدا، بحيث بدا رزيناً ورائعاً وملائماً لعمرها. عادتا منتصرتين من مغامرة التسوق. بعد ذلك، تناولتا الشاي في شقة فريدا وثرثرتا مثل الفتاتين، واستمتعتا بوقتهما. بدا وكأن فريدا تصبح أكثر تحمساً للحفلة كل ساعة. وبعد أن أصبح لديها الآن فستان، يمكنها التطلع فعلاً للحفلة. قالت إنها سترتديه مع الأقراط الماسية الصغيرة التي أهداها إياها

هــاري وأولمبــيا بمناسبة ميلادها الخامس والسبعين، وقلادة من اللآلئ من والد هاري.

"أنــا قلقــة بشأن تشارلي"، اعترفت أولمبيا، فيما جلستا في المطــبخ الحميم لفريدا. كان منــزلها مرتباً جداً، وكانت فخورة بأنها لا تزال تنظفه بنفسها. كانت حيوية ومستقلة، وترفض بكل فخر كل عروض هاري لمساعدتها. "أمام الولد المسكين العديد من الخيارات الممكن القيام بها بعد الجامعة. يبدو مرتبكاً جداً".

"لا يزال شاباً. سوف يعثر على طريقه. كيف هي علاقته مع والــده في هــذه الأيام؟" عرفت أن العلاقة كانت متقلبة خلال الخمسة عشر عاماً الماضية. لطالما كان تشونسي مخيباً للأمل. بدا مهــتماً ببناته الثلاث اللواتي رزق بهن من فيليسيا أكثر من أولاده الــثلاثة من زواجه السابق. لم تنــزعج التوأمان من الأمر على ما يــبدو، لكــن تشارلي شعر دوماً أن والده خذله. فعل هاري ما بوســعه ليدعمه، لكن اللامبالاة الواضحة لوالده نفسه أثرت به كثيراً. كانت هذه طريقة تشونسي. رجل سطحي، قليل الانتباه، ويكره المسؤولية. إذا لم يكن الأمر للمتعة، ويمكن إنجازه من على مــتن الحــصان، لا يفعله أبداً. لطالما أراد من تشارلي أن يلعب الــبولو، وكــان منــزعجاً لأنه لم يفعل. أخبر تشارلي فريدا في مناسبات عدة أنه يعتبر اللعبة سخيفة وغبية.

"علاقته مع تشونسي غير موجودة"، قالت أولمبيا وهي تبدو منــــزعجة. "وهــاري مشغول جداً، بحيث لا يملك الكثير من الــوقت لقــضائه معــه. لا يتحدث تشارلي مع أحد كثيراً هذه الأيام". أخبرتها حينها عن انتحار صديقه خلال الربيع الفائت. "لم

يــتحدث كــثيراً عــن الأمر، لكني تلقيت فاتورة استشارة من دارتمــاوث، وقال إن هذا هو سبب زيارته للاستشارة. كان لا يزال منــزعجاً حين جاء إلى المنــزل في يونيو. لكنه عاد إلى ما كان عليه قبلاً في أغسطس حين عاد من كولورادو".

"هل تظنين أنه على ما يرام؟" بدت فريدا قلقة. كانت تتمتع بالاهــتمامات والمفاهيم العريضة للمرأة الشابة، وليس باللامبالاة والتعب الأكثر تناسباً مع عمرها.

"نعــم"، قالــت أولمبيا بحذر. "أظن أنه محلل عميق ويحتفظ بالكــثير من الأمور لنفسه. لم يعد يخبرني الكثير مثلما كان يفعل قبلاً. أظن أن هذا طبيعي، لكني قلقة على أية حال".

"هل لديه صديقة؟" لم تعرف فريدا أخباره خلال الصيف. لم يقــضِ الكثير من الوقت في المدينة بعد انتهاء عمله في كولورادو قــبل عــودته إلى دارتماوث مجدداً. كان الوقت يمرّ دوماً بسرعة، وكان هو مشغولاً مع الأصدقاء.

"لا، لــيس مــن واحدة محددة. خرج مع بعض صديقات فيرونــيكا وجــيني هذا الصيف. كانت لديه صديقة في أول سنة جامعية، لكنهما انفصلا في كانون الأول من ذلك العام. ولا أظن أنه كانت هناك فتاة مهمة بالنسبة إليه منذ ذلك الحين، وربما كان هذا الربيع مكتئباً جداً بسبب صديقه. لم يذكر لي أنه التقى بأحد مهــم في كولورادو هذا الصيف. إنه نيّق جداً بالنسبة إلى ولد في عمره". أومأت فريدا برأسها إيجاباً. كان ولداً محتشماً، وحساساً، ومــراعياً للآخــرين، يقضي الكثير من الوقت مع أختيه وأخيه، ولديه رابط قوي مع أمه، وعاطفة كبيرة تجاه هاري. كانت تشعر

أن الكهنوت قد يكون فعلاً الخيار الملائم له. ثم ابتسمت لكنّتها فيما صبّت لكل منهما كوباً آخر من الشاي. قضيا فترة بعد ظهر ممتعة معاً، مثلما كانتا تفعلان دوماً.

"يجدر به ربما أن يكون حاخاماً بدلاً من كاهن. كان والدي حاخاماً رائعاً، وكان لطيفاً جداً مع الأشخاص، ورجلاً حكيماً ومثقفاً". نادراً ما كانت تتحدث عن أهلها، وكانت أولمبيا تتأثر كثيراً كلما فعلت حماتها ذلك.

"سوف يتحمس تشونسي كثيراً". ضحكتا معاً على فكرة ردة فعل زوجها السابق تجاه تحول ابنه إلى اليهودية ليصبح حاخاماً. "أحب الفكرة. سوف تجعله مجنوناً".

التقت فريدا بتشونسي وفيليسيا مرة واحدة فقط، وكان بالكاد لطيفاً معها. لم تكن حتى موجودة على شاشة راداره. رفضها على الفور، مثلما يفعل مع أي شخص لا يشكل جزءاً من عالمه الاجتماعي. عرفت أولمبيا أنه سينزعج لأنها دعت فريدا إلى حفلة القناطر. لكنه سيتجاهلها على الأرجح، وسوف يغضب أكثر لأنها دعت مارغريت واشنطن للانضمام إليهم أيضاً. النساء اليهوديات المتقدمات في العمر والنساء الأفريقيات الأميركيات لسن من المدعوين الملائمين لحفلة تقدم فتيات المجتمع الراقي برأي تشونسي. وكان من السهل على أولمبيا تخيل نوع المدعوين الذين سيحضرهم معه، إذا جاءوا؛ كل المجتمع الراقي والمتفاخر والأرستقراطي والمضجر والقذر. كانت فريدا على الأقل امرأة ممتعة ويحلو الكلام معها. فقد سافرت كثيراً، وتطالع باستمرار، وتحب التحدث في السياسة، ولديها طريقة رائعة في التعاطي مع

الأشخاص. وكانت مارغريت من أذكى النساء اللواتي عرفتهن أولمبيا. كانت لا تزال غاضبة لأن هاري قال إنه لن يحضر الحفلة. لقد أخذ قراره ورفض مناقشة المسألة معها. لذلك، استسلمت، وهكذا فعلت فريدا تقريباً. لا تزال الحفلة بعيدة ثلاثة أشهر. وهما تملكان اليوم على الأقل فستانين جديدين، مثل الفتاتين. انتقل الحديث إلى بعض قضايا أولمبيا، وفضيحة في مجلس الشيوخ تم كشفها أخيراً في الأخبار.

لم تغادر أولمبيا منزل حماتها إلا قرابة موعد العشاء. وحين وصلت إلى المنزل، كان هاري يحضر العشاء فيما ماكس يساعده. لقد أحدثا فوضى كبيرة في المطبخ، لكن بدا أنهما يستمتعان. لقد أشعل هاري نار الباربكيو في الحديقة وكانا يحضران شرائح اللحم. وبدأ ماكس للتو في الدفعة الأولى.

"أين كنت؟" سألها هاري فيما قبلته وانحنت لمعانقة ابنها.

"أتسوق مع أمك"، قالت له، وهي تبدو سعيدة لوجودها معهما. إنه مشهد منزلي حميم تحبه كثيراً.

"هل كانت على ما يرام؟" سأل فيما وضع شرائح اللحم على الصينية. كان الطقس لا يزال دافئاً في الخارج.

"بخير. عثرنا على فستان جميل جداً لها للحفلة".

"أوه هكذا إذاً"، قال هاري، مقطّباً حاجبيه ثم توجه إلى الخارج لوضع شرائح اللحم على الباربكيو، فيما التفت ماكس إلى أمه.

"لن يذهب هو"، قال ماكس بنبرة جادة.

"أعرف"، ابتسمت أولمبيا لابنها الصغير.

"لست غاضبة منه الآن؟" كان ماكس قلقاً.

"لا. لديه الحق في آرائه". وفيما قالت ذلك، دخل هاري مجدداً وتحدثت مباشرة إليه. "رغم أن موقفك بعدم الذهاب إلى الحفلة حاقد فعلاً. حاقد ضد الطبقة الراقية".

"إنهم يحقدون على السود واليهود".

"أظن أنك تفعل الشيء نفسه"، قالت بهدوء. "ولست أكيدة من أن تمييزاً أفضل من الآخر. يبدو لي الأمر متشابهاً".

"كنت تتحدثين إلى أمي"، قال لها وهو يخلط السلطة. "تريد عذراً لارتداء ثياب جديدة. أنتنّ جميعاً هكذا. لا تفهمين ما تعنيه هذه الأمور".

"إنها مجرد طقوس، هاري. لا حقد وراء ذلك، وسوف يخيب أمل الفتاتين إذا لم تذهب. يبدو هذا أسوأ بالنسبة إليّ، لأنه يؤذي الأشخاص الذين تحبهم ويحبونك، لمجرد أن تتخذ موقفاً تجاه أشخاص لا تعرفهم ولا يهتمون أصلاً بعدم ذهابك. أما نحن فنفعل".

"سوف تكونين بخير من دوني. سوف نبقى هنا أنا وماكس".

"من أين ستخرج الفتاتان؟" سأل ماكس وهو لا يزال مرتبكاً بشأن ما ستفعله الفتاتان وكيف سيساعدهما تشارلي، فيما تشاهدهم أمه وجدته. وكان يعلم تماماً أن والده غير موافق.

"سوف تمشي الفتاتان على مسرح كبير، تحت قوس من الأزهار، وتلقيان التحية هكذا". أظهرت له كيفية فعل ذلك،

فانحنت بلباقة فيما رأسها مرفوع وظهرها مستقيم، ثم عادت وانتصبت ممددة ذراعيها مثل راقصة الباليه.

"هذا فقط؟" بدا ماكس محتاراً، فيما ذهب هاري لتقليب شرائح اللحم على الباربكيو. لقد شاهد. انحناءتها وادعى أنه لم يفعل. لا يريد أن يعرف.

"هذا هو. ويبدو الأمر أجمل مع فستان طويل".

"يبدو ذلك جميلاً جداً". بدا ماكس متأثراً. كانت أمه جميلة، تماماً مثل أختيه. كان فخوراً بهنّ جميعاً، وفخوراً أيضاً بتشارلي ووالده. "هل تعرف الفتاتان كيفية فعل ذلك؟" لم يشاهدهما تتمرنان على ذلك وبدا الأمر صعباً بالنسبة إليه. وكان محقاً في أن المسألة أصعب مما تبدو.

"ليس بعد، لكنهما ستفعلان. سوف تتمرنان بعد ظهر اليوم الذي يسبق الحفلة".

"أراهن أنهما ستفعلان ذلك أفضل من كل الفتيات"، قال ماكس بثقة. "ماذا سيفعل تشارلي؟"

"سوف يقف بالقرب من جيني فيما تفعل ذلك، ثم يمدّ لها ذراعه وينزلان الدرج. بعد ذلك، ترقص الفتاتان مع والدهما".

"كلتاهما في الوقت نفسه؟" بدا ذلك معقداً بالنسبة إلى ماكس.

"لا، فتاة واحدة في كل مرة". باستطاعة الفتاة الأخرى الرقص مع هاري، لو ذهب إلى الحفلة، ثم تتبادلان. هكذا، من دون وجود هاري، سوف تضطر الفتاتان إلى انتظار الدور.

"ومن سيرافق فيرونيكا على الدرج؟"

"لا نعلم بعد. يتوجب على فيرونيكا إعطاء الجواب بحلول فترة الشكر".

"يستحسن أن يكون شاباً جيداً ليتمكن من الإمساك بها إذا وقعت أثناء تأديتها التحية مثلما فعلت أنت للتو، أو إذا سقطت على الدرج". ضحك هاري وأولمبيا، والتقت أعينهما فيما وضع هاري شرائح اللحم على الأطباق. ثم ضحكت أولمبيا فجأة حين تذكرت الشاب الذي رافقها هي. لم تفكر في الأمر منذ أعوام.

"كان رفيقي في الرقص ثملاً قبل صعودنا إلى المسرح. انسحب وتوجب علينا العثور على شاب آخر ليصعد إلى المسرح معي. لم ألتقِ به أبداً من قبل، لكنه كان لطيفاً جداً".

"أراهن أنهم غضبوا كثيراً من الشاب الذي ثمل".

"نعم، فعلوا". تذكرت أيضاً، ولكن من دون قول ذلك، أنها كانت المرة الأخيرة التي رقصت فيها مع والدها. فقد مات في السنة التالية، ولا تزال عالقة في ذهنها تلك الذكرى الحلوة والمرة لآخر رقصة لها معه. كانت ليلة مهمة بالنسبة إليها، وهي تتمنى أن تكون كذلك للفتاتين. صحيح أنها ليست لحظة مغيرة للحياة، لكن لطالما عنت لها الكثير. لم تعطها أبداً أية أهمية اجتماعية معينة. كانت مجرد ليلة شعرت فيها بأنها مميزة ومهمة، وكان الجميع مهتماً بها. لم تشعر بعدها أبداً بذلك الجمال إلا يوم زفافها. ثمة أحداث أخرى في حياتها كان لها معنى أعمق، مثل زواجها من تشونسي وبعدها من هاري، وولادة أولادها، وتخرجها من فاسار ومن ثم من كلية كولومبيا للحقوق، ويوم

عرفت أنها نجحت في النقابة. لكن تلك الليلة في حفلة القناطر عنت لها الكثير أيضاً. خصوصاً الرقصة الأخيرة مع والدها.

"يبدو ذلك مثل حفلة تقليد الفتاة اليهودية مسؤولياتها الدينية"، قال هاري بهدوء، فيما كان يصغي إليها.

"أنت محق"، قالت برفق. "المسألة كلها تتعلق بأهمية الفتاة الشابة في ذلك اليوم المميز". لقد ذهبت معه إلى حفلة أو حفلتين من هذا النوع خلال الأعوام الماضية، وتأثرت بالإحساس الذي تشعر به الفتاة المحتفى بها، بحيث يلقون خطابات عنها، ويعرضون أفلاماً عن طفولتها، وينقلون أمها عبر الغرفة في كرسي. أما حفلات تقليد الصبيان اليهود المسؤوليات الدينية فكانت مؤثرة أكثر، ونوعاً من الطقوس أيضاً. إنها كلها معالم مهمة فاصلة بين الشباب وسن الرشد؛ وهي في الواقع نهاية الطفولة والدخول إلى عالم الكبار. وكانت تتمنى لو يشارك هو في مراقبة فيرونيكا وفيرجينيا تعيشان مثل هذا الحدث.

لكن هاري ما زال لا يرى الأمر بهذه الطريقة. وهو يعتبر أنه من المهم أكثر التحدث عن الإجحاف السياسي للحفلة. طرح ماكس عدداً من الأسئلة عن الحفلات اليهودية، وأخبره هاري عن حفلته هو. كان وقتاً سيذكره دوماً بفرح وحنان. وأصبح ماكس متحمساً للتفكير في حفلته هو، رغم أن المسألة لا تزال بعيدة سبع سنوات.

اتصلت الفتاتان فيما كان هاري وأولمبيا ينظفان المائدة بعد العشاء. لقد أحبتا الصفوف، وقالتا إن كل شيء على ما يرام في الكلية. إنهما تتشاركان شقة مع فتاتين أخرتين. كان تشارلي

يعيش في غرفة لوحده هذه السنة، نظراً لكونه في السنة الأخيرة في دارتماوث. اختار العيش في حرم الجامعة، في المباني السكنية الخاصة بالطلاب. تحدث عن استئجار منزل مع مجموعة من الأصدقاء، لكنه رفض الفكرة في النهاية. قال إنه لا يمانع العيش في المباني الخاصة بالطلاب مجدداً. لكنهم لم يسمعوا أي خبر عنه منذ أن غادر. إنهم يعرفون أنه مشغول، ولديه الكثير للقيام به في سنته الأخيرة. لن يعود أحد من الأولاد الثلاثة إلى المنزل قبل فترة الشكر. شعرت أولمبيا أن الوقت طويل جداً قبل أن تراهم مجدداً. لكنها كانت ممتنة لوجود ماكس، واثنتي عشرة سنة لقضائها معه قبل أن يغادر.

تلك الليلة، وضع هاري وأولمبيا ماكس معاً في السرير. قرأ له هاري قصة، فيما قبلته أولمبيا وعانقته. بعد ذلك، ذهبا إلى غرفتهما وتحدثا لوقت طويل. كلاهما كان يملك الكثير من العمل والقضايا المهمة الواجب حلها. كانا يحبان التحدث عن عملهما وعن الأشياء التي قاما بها طوال اليوم. إنها تحب مشاركة كل جوانب حياتها معه، وسماع رأيه. فهي تقدّر آراءه وأحكامه، في كل المسائل، باستثناء الحفلة الراقصة. فهي ترى أنه سخيف جداً في هذه المسألة.

حين استلقت بقربه في السرير تلك الليلة، كانت ممتنة له. فهي تحب الحياة والأولاد الذين يتشاركانهم. إنها حياة جيدة مليئة بالأشخاص اللطفاء، وعمل يحبانه، وأولاد هم بمثابة نعمة أبدية بالنسبة إليهما. نامت بين ذراعيه فيما كانا يتهامسان، وللمرة الأولى منذ شهور، لم تعد الحفلة تبدو مهمة، سواء حضرها أم لا. فإذا لم يحضرها، لم يعد ذلك مهماً. إنها تحبه على أية حال.

الفصل 4

عاد كل الأولاد إلى المنزل في فترة الشكر. وصل تشارلي يوم الثلاثاء، فيما وصلت الفتاتان يوم الأربعاء. لقد انتهوا من صراع الامتحانات نصف النهائية، وشعر الأولاد الثلاثة الكبار أنهم أحرار. كان ماكس متحمساً جداً لوجودهم، وأحب اللعب معهم. أحضره تشارلي من المدرسة يوم وصل إلى المنزل، وأخذه إلى سنترال بارك، ثم إلى حديقة الحيوانات. اشترى له الكستناء وبالوناً. وبعد ظهر اليوم التالي، أخذه للتزلج على الجليد. عادا وخدودهما وردية وأعينهما براقة ومعنوياتهما مرتفعة. وحين عادا إلى المنزل، كانت الفتاتان قد وصلتا، وتشاركوا جميعاً عشاء جميلاً قبل أن يخرج تشارلي والتوأمان بعد ذلك للقاء أصدقائهم. في الواقع، إن وجودهم أثار الكثير من الضجة في المنزل، وذكّر أولمبيا بمدى عشقها لوجود كل أولادها معها في المنزل.

صباح يوم الشكر، وصلت فريدا في الوقت المناسب لمساعدة أولمبيا على تحضير العشاء. حضّر هاري الحشوة، وطهت أولمبيا الحبش، وحضرت فريدا الخضار، فيما تولى تشارلي إعداد مافن الذرة، وحضرت التوأمان البطاطا الحلوة مع الخطمي. وساعدت أولمبيا ماكس في إعداد الكريما المخفوقة لتقديمها فوق تورتات

التفاح واليقطين بعد انتهاء الوجبة. كانت هذه الوجبة الوحيدة في السنة التي يتشارك فيها الجميع ويبذل كل واحد جهداً، وتكون النتيجة النهائية مذهلة. جلسوا لتناول العشاء في تمام السادسة، وعند الساعة الثامنة، كان الجميع يشعر بالتخمة بحيث لم يستطيعوا التحرك. وكما هي الحال دوماً، قدمت أولمبيا وجبة خاصة وفقاً لمعتقدات فريدا الدينية، تولى إعدادها طاه من دينها في اليوم السابق، وقالت فريدا إنها لذيذة أيضاً.

"سوف أمتنع عن الأكل طوال الأسابيع الثلاثة المقبلة، لكي أتمكن من ارتداء الفستان"، قالت فريدا بعد تناول فطيرة اليقطين مع الكريما المخفوقة عليها والتي ساهم ماكس في إعدادها.

"أنا أيضاً"، قالت جيني، وهي تبدو قلقة. وكانت فيرونيكا قد أعلنت قبلاً أنها دعت شاباً اسمه جيف أدامس ليرافقها في الحفلة. قالت إنها التقت به في الجامعة. سوف يأتي في عطلة نهاية الأسبوع التي تجري فيها الحفلة، ووعد بأن يستأجر بذلة توكسيدو في بروفيدانس ويحضرها معه، كي لا يضطر إلى استئجار واحدة من نيويورك.

"أتمنى أن يكون موضع ثقة"، قالت أولمبيا، وهي تبدو قلقة قليلاً. "هل تعرفينه جيداً؟"

"جيداً كفاية"، قالت فيرونيكا بطريقة عفوية. "أنا أخرج معه منذ ثلاثة أسابيع تقريباً".

"وماذا يحدث إذا توقفت عن الخروج معه قبل موعد الحفلة؟ قد يكون ذلك غريباً". وافق الجميع على أن الصديق الشاب ليس رفيقاً جيداً للحفلة، لأنه إذا توقفت عن مواعدته مباشرة قبل الحفلة، يمكن أن ينتهي بها الأمر من دون رفيق للرقص.

"إنه مجرد صديق"، قالت فيرونيكا، وهي تبدو غير مهتمة. وافقت على المشاركة في الحفلة، ولكن من دون أي حماس. إنها تفعل ذلك فقط كي لا يمتنع والدها عن دفع حصته في قسط الجامعة. لكنها لا تزال غاضبة من ابتزازه ومراوغته. وقد أخبرت الجميع مرات عدة أنها تتوقع مسبقاً أن تقضي وقتاً مقرفاً في الحفلة. كانت هي من رفض أساساً الذهاب إلى الحفلة، لكن جيني عوّضت عن غياب حماس أختها التوأم للحفلة. فلم يعد بوسعها الانتظار، وجرّبت فستانها أربع مرات خلال اليومين الأخيرين. إنه فستان أحلامها. تحقق تشارلي من ثيابه في الليلة التي عاد فيها إلى المنزل وقال إن بذلة التوكسيدو لا تزال جيدة عليه، رغم أنها أصبحت ضيقة قليلاً عند الخصر، لكن هذه ليست مشكلة لليلة واحدة.

قالت فيرونيكا إن رفيقها للحفلة أراد التعرف إلى جيني وتشارلي، لكنه ذهب للتزلج على الثلج في فيرمون في عطلة الشكر.

"كيف هو شكله؟" سأل تشارلي باهتمام. سيكون ممتعاً لهم جميعاً إذا اتفق الثنائيان وكان هناك شيء مشترك للتكلم بشأنه أثناء التمارين على الحفلة وخلال الحفلة نفسها. ستكون ليلة طويلة بالنسبة إليهم.

"إنه في فريق كرة القدم، ويلعب الهوكي على الجليد أيضاً"، قالت فيرونيكا لأخيها.

قال تشارلي: "نستطيع ربما الذهاب جميعاً للتزلج في اليوم التالي، أو لتناول العشاء أو شيء ما. هل هو متحمس لذلك؟"

"لا أعرف. سألته، وقال إنه سيأتي. ليس مضطراً لأن يحب ذلك. كل ما عليه فعله هو أن يكون موجوداً". رفضت فيرونيكا

إمكانية استمتاعه بالحفلة، لأنها تعرف أنها لن تستمتع هي. وبرأيها، لن يستمتع هو أيضاً.

"هل رافق فتاة إلى حفلة راقية قبلاً؟" سألتها أمها فيما نظرت إليها فيرونيكا بغضب.

"لا أعرف. ولماذا يفعل؟ مرة واحدة تكفي بالنسبة إلي".

"هناك بعض الشبان الذين يحبون ذلك فعلاً"، قالت لها أولمبيا، "وإن كان يصعب عليك تصديق ذلك". ابتسمت لها، وهي مسرورة لأنها وافقت في النهاية.

"لا أجد صعوبة في تصديق ذلك. يبدو ذلك مثل حاجز مهم بالنسبة إليّ".

"قد تتفاجئين بمدى المتعة الموجودة في تلك الحفلة"، قالت أمها بنبرة مشجعة، فيما ابتسمت جيني ابتسامة عريضة. لم يعد بوسعها التفكير في شيء آخر خلال الأسابيع القليلة الماضية.

مكثت والدة هاري عندهم حتى منتصف الليل تقريباً. ثم طلب لها ابنها سيارة أجرة وأرسلها إلى المنزل، وفيما خرج لمساعدتها، لاحظ أن الثلج كان يتساقط.

في صباح اليوم التالي، كانت كل المدينة مغطاة بالثلج. بعد الغداء، اتفقوا جميعاً على الذهاب إلى سنترال بارك، وحين فعلوا، لفوا أكياس نفايات حول مؤخراتهم وانزلقوا على الهضاب. أصبح ماكس بسرعة خبيراً في ذلك، ولم يكن هاري سيئاً أيضاً. كان هذا ممتعاً كثيراً، وضحكت أولمبيا بسرور فيما كانت تنزلق على الهضاب. استلقت الفتاتان على الثلج، وأديتا دور

الملائكة من خلال تحريك ذراعيهما صعوداً ونزولاً قدر المستطاع، كما لو أنها أجنحة في الثلج الناصع. إنهما تفعلان ذلك منذ أن كانتا طفلتين صغيرتين، وهما تحبان ذلك أكثر من أي شيء آخر. بعد ذلك، ذهبوا جميعاً إلى مركز روكفلر، وتزلجوا على الجليد وتناولوا العشاء. وحين عادوا إلى المنزل، اتصلوا بأصدقائهم، وخططوا لمشاريع، وأخيراً، خرج الأولاد الثلاثة الكبار بعد فترة وجيزة للقاء أشخاص أو للسهر في منازلهم. كان ماكس نائماً حين غادروا، مرهقاً بعد يوم طويل وحافل. فقد أنهك نفسه وهو يصنع رجلاً من الثلج مع شقيقه الكبير.

"كان يوم الشكر رائعاً"، قالت أولمبيا لهاري حين خلدا إلى السرير واستلقيا تحت البطانيات. "من الرائع وجود الأولاد في المنزل. أشتاق إليهم كثيراً حين يغيبون". إنه يعرف ذلك. "لا أستطيع الانتظار حتى يعودوا في عطلة الشتاء المقبلة". من المقرر أن يعودوا إلى المنزل في الأسبوع الذي يسبق الحفلة. الحفلة التي ما زال رافضاً الذهاب إليها، والتي ستحضرها مارغريت واشنطن وفريدا معها. صحيح أنها تحبهما كثيراً، لكنها كانت تفضل وجود هاري قربها عوضاً عنهما. لكن هذا ليس خياراً ممكناً برأيه هو. إنه مصرّ تماماً على عدم الذهاب. فهو يعبر عن رأيه، من خلال عدم الحضور، بشأن حدث يعارضه بشدة، ويعتبره بمثابة ممارسات مميزة عنصرياً رغم أن ذلك يغضب زوجته. لقد أراد هذه المرة إغضابها، وشعر أنه مجبر على ذلك ليكون صادقاً مع ما يؤمن به. في الواقع، إن أحداً لن يهتم إذا ذهب أم لا، باستثناء أولمبيا وعائلته.

إلا أن الإعلان الكبير لعطلة نهاية الأسبوع جاء من فيرجينيا

صباح يوم السبت. فكرت ملياً قبل إخبارهم بالأمر، وبعد حديث ودي جداً مع أمها خلال الفطور، قررت أنه يجدر بها فعل ذلك. لم تخف يوماً أسراراً عن أمها، وكانت تحب مشاركتها كل تفاصيل حياتها. توقعت أولمبيا أن شيئاً ما يجري معها، لكن بما أنها لم تعد تراها كل يوم، كان من الصعب العثور على الفرصة لكي تعترف لها جيني بأسرارها. غير أن المحادثة التي تلت الفطور أعطت جيني الفرصة التي كانت تحتاجها للبوح عما في داخلها. كانت مجنونة بحبّ شاب معها في براون حسبما قالت. إنه أجمل شاب التقت به. ومثل الشاب الذي تواعده فيرونيكا وستحضره معها إلى الحفلة، كان في فريق كرة القدم. اسمه ستيف، وكانت جيني واقعة في غرامه، على عكس فيرونيكا، التي كانت تحب صديقها وإنما تعتبر في الوقت الحاضر أنه لا شيء أكثر من الصداقة بينهما. أخبرت جيني أمها أنها تراه ثلاث أو أربع مرات أسبوعياً منذ ثلاثة أشهر. وسألتها ما إذا كان باستطاعته القدوم إلى الحفلة أيضاً. لقد حجزت أولمبيا طاولة، وقالت إنها ستخصص مقعداً له. كانت جيني متحمسة. بما أن شقيقها هو المرافق الرسمي لها في الحفلة، لن تكون هناك مشكلة في وجود ستيف هناك أيضاً. قالت إنه من بوسطن، من عائلة محترمة جداً. إنه توأم أيضاً، وشقيقه يدرس في ديوك. وحسب كل ما قالته لأولمبيا، بدا الشاب لطيفاً جداً.

أخبرت أولمبيا هاري بالأمر بعد ظهر ذلك اليوم، وقالت إنها مسرورة لها، رغم أنها تأمل ألا تتأثر دروس جيني نتيجة الوقت الذي تقضيه مع ذلك الشاب. قالت جيني إنهما يدرسان معاً، ويقضيان الكثير من الوقت في المكتبة حين لا يكون يتمرن مع فريقه. "إنها مجنونة به. إنه ظريف فعلاً".

بدت أولمبيا مسرورة. عرفت جيني العديد من العلاقات العاطفية خلال دراستها الثانوية، وتعرفت إلى العديد من الأصدقاء. لكن قصصها العاطفية كانت تدوم عادة أشهراً قليلة. أما فيرونيكا فهي أبطأ في التوغل في علاقة، ولديها لائحة أطول من الشروط الضرورية. في معظم الأوقات، تخرج مع أصدقاء، ووقعت في الغرام مرة واحدة فقط. إنها أكثر حذراً بطبيعتها، وأكثر ثقافة. صحيح أن الفتاتين متشابهتان ظاهرياً، لكنهما تختلفان تماماً في الجوهر. سألت أولمبيا فيرونيكا عن ستيف بعد ظهر ذلك اليوم، وقالت إنه جيد، لكنها لم تكن متحمسة.

"لا تبدين متحمسة كثيراً"، قالت أولمبيا بقلق. فيرونيكا ليست غيورة بطبعها، وتساءلت ما إذا كان هناك خطب ما، أو إذا كان أقل مما صوّرته جيني.

"ستيف جيد. إنه من نوع الشبان المحبوبين في الجامعة، أو يظن أنه كذلك. تطارده دوماً الكثير من الفتيات. إنه مغرور جداً بنفسه". لم يعجبها يوماً هذا النوع من الشخصيات الأنانية.

"هل هو مجنون بجيني بقدر ما هي مجنونة به؟" كانت أولمبيا قلقة بشأن ما قالته فيرونيكا.

"يقول إنه كذلك"، قالت فيرونيكا ببرودة. لديها موقف راقب لترى في الحياة، وهي أكثر تشاؤماً وحذراً من أختها الأكثر حيوية. "لا أحب الشباب الجذّابين. يكونون أحياناً غريبين". تحب الشباب المثيرين، وغير الاعتياديين، الذين يستحسن الكلام إليهم بدل النظر إليهم. أما الشباب الذين خرجت معهم جيني فكانوا دوماً رائعي المظهر. إنهم يذكرون أولمبيا دوماً

بتشونسي قليلاً، رغم أن جيني كانت تبحث عن نسخة أكثر شباباً من والدها المراوغ والمهمل. بدا وكأنها غارقة في حب ستيف.

اعترفت فيرجينيا لأمها بأن لها علاقة حميمة معه، لكنها وعدتها بأنهما يستخدمان سبل الوقاية دوماً. إلا أن درجة حبها له أقلقت أمها على أية حال، خصوصاً بعد ما قالته فيرونيكا.

"لديّ شعور بأنك لا تحبينه"، قالت أولمبيا بصدق، محاولة معرفة المزيد من الأسباب وراء ذلك.

"إنه جيد. لست مولعة به. قال لي أحدهم إنه يغازل الكثير من الفتيات حوله. لا أريدها أن تتأذى"، قالت فيرونيكا بصراحة، وكانت عيناها قلقتين. لكن حين تكوّن جيني فكرة في رأسها، يصعب إيقافها، في أي شيء تقريباً. كانت فيرونيكا عنيدة أيضاً، وإنما بشأن الأفكار عادة، وليس الأشخاص.

"أنا أيضاً لا أريدها أن تتأذى"، قالت أولمبيا. كان واضحاً أن جيني ماضية بثقة في علاقتها. "انتبهي إليها، أرجوك. تحدثي معها بمنطق، إذا اضطررت لفعل ذلك"، قالت أولمبيا بنبرة تآمرية، فيما ضحكت فيرونيكا وبرمت عينيها.

"نعم، طبعاً. سوف يفيدني ذلك كثيراً مع جيني. تعرفين كيف هي". في معظم الأحيان، كل ما تستطيع فعله مع جيني هو مساعدتها في لملمة الفتات لاحقاً. حين تقع، يكون ذلك مؤلماً جداً. وحين تنتهي علاقة عاطفية، يتحطم كل عالمها حولها. كانت فيرونيكا أكثر صلابة وقوة في بعض النواحي. وكانت أولمبيا تعرف أولادها جيداً.

"ماذا عنك أنت؟ هل من شيء جاد مع جيف الذي دعوته ليرافقك في الحفلة؟"

"لا"، قالت فيرونيكا من دون أي التزام. لطالما كانت متكتمة جداً بشأن حياتها العاطفية، حتى مع أمها، وأحياناً حتى مع جيني. كانت لديها مستشارتها الخاصة، تماماً مثل تشارلي. كانا يشبهان والدهما أكثر من أمهما في هذه المسألة. جيني وأولمبيا كانتا أكثر انفتاحاً وترغبان في إخبار كل شيء. لا تحتفظ أولمبيا بأية أسرار، وكذلك جيني. كانتا تكشفان دوماً عن كل ما في قلبيهما. وكان هاري يحب ذلك فيها. كان هذا أحد الأسباب التي جعلته يقع في حبها أساساً.

"إنه مجرد شاب، نحن صديقان"، قالت فيرونيكا عن جيف.

"ما الذي جعلك تدعينه إلى الحفلة؟" سألت أولمبيا وهي تشعر بالفضول حياله، والعصبية قليلاً. فما من شيء ينفي أن تفعل فيرونيكا شيئاً لتخريب قدومها إلى الحفلة. ليس هذا مستغرباً عنها. كانت أولمبيا تخشى الإلحاح عليها، لكي لا تجعلها ترفض مجدداً.

"أكره أن أدعو أحداً. كل الأشخاص الآخرين الذين أعرفهم سوف يضحكون عليّ إذا طلبت منهم مرافقتي. شاركت أخته في حفلة السنة الماضية، ورأى أن الحفلة غبية أيضاً. لذا، تصورت أنه لن يضحك عليّ إذا طلبت منه مرافقتي. اتفقنا، هذا شيء سخيف. لكنه قال إنه سيأتي". قال أيضاً إنه يمكنهما التمرّن قبل صعودهما إلى المسرح لإلقاء تحيتها. لكنها لم تتشارك هذه المعلومة مع أمها. رأت أنها مضحكة، سواء فعلا ذلك أم لا.

"هل يبدو طبيعياً؟" سألت أولمبيا مع بعض الخوف، فيما وجهت إليها فيرونيكا نظرة قاتمة مع عصبية واضحة.

"لا، أمي، لديه ثلاثة رؤوس وعظم في أنفه. نعم، يبدو طبيعياً معظم الأوقات. يعرف اللعبة. سوف يبدو جيداً تلك الليلة".

"وكيف يبدو في بقية الأوقات؟" سألت أولمبيا بحذر شديد.

"رديئاً، ولكن ليس شنيعاً جداً. يجعل شعره واقفاً، لكنه قال إنه لم يفعل ذلك في حفلة أخته. سيكون جيداً أمي. لا تقلقي".

"أتمـــنى ذلـــك"، قالت أولمبيا وهي تتنهد. بدأت تشعر بالتوتر بشأن الحفلة، و لم تفلح في إقناع هاري. سوف تتشارك هي وفريدا، ومارغريت واشنطن وزوجها، وثنائي آخر، وستيف الصديق الجديد لجيني، وتشونسي وفيليسا الطاولة نفسها. مجموعة متنافرة في أفضل الأحوال. وستجلس الفتاتان ورفيقاهما في مكان آخر.

ذكرت أولمبيا مخاوفها أمام تشارلي قبل أن يعود إلى المدرسة، وطمـــأن أمه بأن كل شيء سيكون على ما يرام. إنها ليلة واحدة فقط. لن يحدث شيء كثير. سوف تلقي الفتاتان التحية، وسوف تقـــدمان عرضاً في القاعة، وترقصان مع والدهما، ثم تمضيان بقية السهرة في الأكل والشرب والرقص. ما الخطب الذي قد يحصل؟

"تجعل الأمر يبدو بسيطاً جداً". ابتسمت لابنها البكر. هذه هـــي طريقته. ينجح تشارلي دوماً في تهدئة الماء العكر وطمأنتها. لطالمـــا كـــان مصدر عزاء كبيراً بالنسبة إليها. لم يفتعل المشاكل أبـــداً، وإنما على العكس كان يسوي الأمور حين يفعل الآخرون ذلـــك، كمـــا يحدث بين الحين والآخر في أية عائلة. كان صانع السلام، الولد البكر المسؤول دوماً، الذي يحاول أن يكون كل ما لم يكنه والده.

"هـــذا بسيط"، قال مع ابتسامة دافئة، لكنها شاهدت مرة جديـــدة حزناً وراء الابتسامة، تماماً كما في الربيع السابق، حين مات صديقه.

"هل أنت بخير؟" نظرت في عينيه و لم تستطع أن تفك رموز مـــا رأته فيهما. شعرت أكثر مما رأت بأن هناك شيئاً مخبأ. أملت ألا يكون هناك خطب في حياته. كان مفكراً عميقاً، وهو كذلك منذ أن كان ولداً صغيراً.

"أنا بخير أمي".

"أكيد؟ هل أنت سعيد في المدرسة؟"

"ســـعيد كفاية، وكدت أنتهي". عرفت أنه قلق كثيراً بشأن ما يجب فعله حين يتخرج في يونيو. كان لا يزال يخطط للذهاب إلى كاليفورنـــيا، لمقابلة والد صديقه. قرر ألا يذهب بعد الميلاد، وأن يـــؤجل المسألة إلى فرصة الربيع بعد ذلك. تقدم أيضاً بطلب لجامعـــة أوكـــسفورد لإنجاز دراسات عليا في السنة القادمة، قبل الـــتقدم لكلـــية اللاهوت في هارفارد. لديه الكثير من الخيارات والإمكانيات، والقرارات الواجب اتخاذها، والتي تسبب له التوتر. عليه أن يحدد مصير كل حياته. من المهم دوماً بالنسبة إلى تشارلي أن يشعر بأنه ينجز الشيء الصحيح.

"لا تقلق كثيراً بشأن ما ستفعله. سوف تعرف ذلك. سوف يحدث الشيء المناسب. امنحه الوقت فقط".

"أعـــرف أن كـــل شيء سيكون على ما يرام، أمي". انحنى صوبها وقبّلها. "لا تقلقي أيضاً. هل تحدثت إلى والدي مؤخراً؟"

هزّت رأسها. "لا منذ الصيف الماضي، حين جُنّ جنونه على فيرونيكا عندما قالت إنها لن تحضر الحفلة".

"ربما يجدر بك الاتصال به لمجرد إلقاء التحية، بحيث لا يكون الأمر غريباً كثيراً تلك الليلة". عرف كم أن والدته تكره فيليسيا،

وكم أصبحت علاقتها متوترة مع تشونسي. ما من شيء مشترك على الإطلاق بينهما.

كـان غامضاً لكل الأولاد كيف تزوج أهلهما أصلاً. فالعيش سبع سنوات معاً أمر مميز لشخصين غير متطابقين أبداً، رغم أن أولمبيا في عمر الثانية والعشرين كانت شخصاً مختلفاً. كانت حصيلة تربيتها البروتستانتية المحافظة جداً، وكانت الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها تشونسي مألوفة بالنسبة إليها. ولطالما شك تشارلي في أنها تزوجته لأن أهلها ماتوا حين كانت في الكلية، وكانت تبحث عن الاستقرار والعائلة، ولذلك تزوجت. لكن حين كبرت على مر السنوات، وطوّرت آراءها وطريقة تفكيرها، أصبحا بعيدين. وهما يعيشان الآن في كوكبين منفصلين. رأى تشارلي أن عالم أمه أكثر إثارة. كان يحب هاري كثيراً، ولطالما كان رائعاً معه. لكنه يكنّ أيضاً عاطفة ووفاء كبيرين لوالده، مهما كانت سيئاته وتحيزاته وإخفاقاته وقيوده. وكانت فيليسيا مجرد امرأة سخيفة، ورأى تشارلي أنها غير مؤذية. لكن أمه لم توافقه الرأي أبداً. كانت تعتبر زوجة تشونسي تمثالاً حياً للغباء والمكر. والسبب في ذلك أن فيليسيا كانت تغار منها كثيراً، ولم تمتنع يوماً عن إصدار تعليق سخيف حين تشاهدهما مع بعضهما، وهذا نادر جداً. كان يعرف أنه من الصعب فعلاً على أمه عدم وجود هاري معها في الحفلة، وأسف لأن هاري لم يستطع تجاوز مبادئه ليكون حاضراً من أجلها، لكن هذا لن يحدث على ما يبدو. فقد وعد تشارلي نفسه، كما هي الحال دوماً، بأن يفعل كل ما بوسعه لمساعدتها، في غياب هاري. واقتراحه للاتصال بتشونسي هو لتمهيد الطريق أمام أمسية هادئة. كان يعرف

أن والده سيسرّ بالاتصال. يحب تشونسي أن يحظى بالثناء والانتباه.

"سوف أتصل به ربما"، قالت أولمبيا بحذر. لم تكن متحمسة لذلك، لكنها عرفت أن هذا اقتراح دبلوماسي. "هل ستراه خلال عطلة الميلاد؟"

"أظن أنه يجدر بي الذهاب ليومين، قبل أن ننطلق إلى أسبن". سوف يذهب هاري وأولمبيا وكل الأولاد إلى كولورادو خلال الميلاد لقضاء أسبوع في التزلج، مثلما يفعلون كل سنة. وهم يتطلعون جميعاً إلى ذلك. لم يعترف تشارلي بالأمر أبداً أمام أحد، لكنه كان يستمتع برفقتهم أكثر من وجوده مع والده. إلا أنه يذهب لرؤيته بسبب الوفاء والعاطفة، والأمل الدائم بأن يتمكنا من الارتباط بطريقة ما على مستوى أكثر عمقاً. لكن هذا لم يحصل لغاية الآن. لم يكن تشونسي شخصاً عميقاً. "لديه بعض أحصنة البولو الجديدة التي يريد أن يريني إياها". بدا تشارلي حزيناً حين قال ذلك. عرف كم خاب أمل والده لأنه لا يريد لعب البولو. يحب ركوب الخيل معه، وقام معه بجولات في أوروبا، لمعرفة ما تكون عليه الأمور، لكن البولو أضجره. إنها هواية والده.

"هل تريد إحضار أي أصدقاء معك إلى أسبن؟" لقد استأجروا منزلاً هناك، وكانت أولمبيا ترحب دوماً بأن يحضر الأولاد أصدقاءهم معهم. فهذا ممتع أكثر حين يفعلون، لكن تشارلي هزّ رأسه بعد تردد بسيط.

"لا، سوف أتزلج مع الفتيات، أو هاري". كانت أولمبيا تبقى على المنحدرات الصغيرة مع ماكس. أما الباقون فكانوا أكثر مهارة منها في التزلج، ولا سيما تشارلي.

"لا بأس إذا بدلت رأيك. هناك متسع من المكان إذا أردت إحضار صديقين من دارتماوث. ولا بأس في إحضار فتاة أيضاً". ابتسمت له.

إذا أحضر فتاة معه، تنام مع فيرونيكا وجيني. إنهم يقضون إجازات عائلية كبيرة وودودة، والجميع مرحب به.

"إذا عثرت على فتاة لإحضارها معي، سأخبرك". لا يعيش علاقة عاطفية جدية في الوقت الحاضر. لم يفعل ذلك منذ أن كان في السنة الجامعية الأولى، علماً أنه عرف العديد من العلاقات خلال الثانوية. لكن خلال العامين الماضيين، لم تكن لديه علاقة مميزة، ولا حتى الآن. كان حذراً وكتوماً. لطالما قالت أولمبيا إن الفتاة يجب أن تكون مميزة، مع الكثير من المزايا والعمق، لتفوز بقلب تشارلي. فهو الأكثر جدية من بين كل أولادها. ويصعب التصديق أحياناً أنه قريب من تشونسي، الذي كان ملك كل الأشياء السطحية.

تلك الليلة، طار عائداً إلى دارتماوث، وعادت الفتاتان إلى براون في الصباح. ولم تبدأ الجامعة إلا يوم الثلاثاء. جرّبت جيني فستانها مرة أخيرة قبل أن تغادر ووقفت تبتسم لنفسها في المرآة. لقد أحبته. توجّب على أولمبيا تهديد فيرونيكا لإجبارها على تجربة الفستان، لكنها أرادت التأكد من أنه جيد ولا يحتاج إلى أية تعديلات قبل الليلة الكبيرة. حين تعودان إلى المنزل في ديسمبر، لن يكون هناك وقت لتعديل الفستان قبل الحفلة.

"تملكان أحذية؟ صحيح؟" اشترت جيني حذاءها في شهر يوليو، واختارته من الساتان الأبيض مع لآلئ صغيرة عليه، تماماً مثل فستانها. كانت محظوظة كفاية بالعثور عليه. أما فيرونيكا فقد

اصرّت على أنها تملك صندلاً من الساتان الأبيض في خزانتها.

"أنت أكيدة؟" سألت أولمبيا مجدداً. تملك الفتاتان حقيبتين للسهرة، وقفازات بيضاء طويلة، وعقدين من اللآلئ مع أقراط متناسقة للأذنين اشترتهما لكل منهما بمناسبة ذكرى ميلادهما الثامنة عشرة. هذا كل ما تحتاجان إليه.

"أنا أكيدة"، قالت فيرونيكا وهي تدير عينيها. "هل تدركين كم كان من الأجدى لو أنفقنا المال على أشخاص يموتون جوعاً في أبالاتشيا؟"

"الأمران لا يلغيان بعضهما. نتبرع أنا وهاري بالكثير من المال للجمعيات الخيرية، فيرونيكا. إنه يقدم عملاً مجانياً أكثر من أي شخص آخر أعرفه، وأنا أقوم بحصتي. لست بحاجة إلى الشعور بالذنب لشراء فستان وحذاء".

"أفضل قضاء الليلة وأنا أعمل في منزل مشرد".

"هذا نبل منك. يمكنك التكفير عن خطاياك حين نعود من أسبن". لديهم إجازة لمدة شهر، وهي واثقة من أن فيرونيكا سوف تفعل ذلك في معظم إجازتها. لقد تطوعت مرات عدة لمساعدة المشردين، وساهمت في مشاريع محو الأمية، والأولاد المعذبين في مركز أحبته في هارلم. لم يتهم أحد فيرونيكا يوماً بالتقصير لناحية الضمير الاجتماعي. أما جيني فهي قصة أخرى إذ تفضل قضاء الشهر الكامل لإجازتها وهي تزور الأصدقاء، وتحضر الحفلات، وتتسوق.

كل ما أرادته أولمبيا هو أن يحب ويحترم أولادها بعضهم بعضاً، مهما كانوا مختلفين. ولغاية الآن، كانت مساعيها ناجحة

في هذا الاتجاه. فعلى الرغم من اختلافهما بشأن الحفلة الراقصة، كانت الفتاتان مخلصتين لبعضهما ولتشارلي وماكس تماماً مثلما كان الصبيان مخلصين لهما أيضاً.

عادت أولمبيا إلى مكتبها في صباح اليوم التالي بعدما غادرت الفتاتان، وذهب هاري إلى العمل باكراً، وجاء باص المدرسة لأخذ ماكس، ووجدت ألف رسالة على مكتبها حين وصلت إلى هناك. تصفحت كل هذه الرسائل وأجابت على كل اتصالاتها الهاتفية، قبل الذهاب إلى المحكمة بعد الظهر. وخلال فرصة الغداء، اتصلت بتشونسي. رأت أن اقتراح تشارلي هو اقتراح جيد، فقط لكسر الجليد ومحاولة تسهيل الأمور، علماً أن هذا الأمر لم يكن أبداً بسيطاً مع تشونسي. فلقد كانت لديه قدرة رهيبة على إغضابها.

أجابت فيليسيا على الهاتف في نيوبورت، وتحدثت مع أولمبيا لبضع دقائق، من دون التوغل في شيء خصوصي، وكان الحديث بمعظمه عن أولاد فيليسيا وتشونسي. تذمرت فيليسيا من مدرسة البنات في نيوبورت، وكم هي غبية فكرة ارتدائهن البذلات النظامية بدل الثياب الجميلة التي اشترتها لهنّ من بوسطن ونيويورك. لكنها كانت لطيفة كفاية للقول إنها تتطلع شوقاً لحضور حفلة الفتاتين في القناطر، شكرتها أولمبيا، وطلبت منها التحدث إلى تشونسي. قالت فيليسيا إنه وصل للتو لتناول الغداء، عائداً من الاسطبلات. ما زالت تتعجب أولمبيا كيف أن زوجها السابق راضٍ عن عدم العمل طوال الخمسة عشر عاماً الماضية، والاكتفاء بالعيش من ثروة عائلته. لا تستطيع تخيل حياة مثل هذه، حتى لو كان باستطاعتها فعل ذلك. إنها تحب مهنة المحاماة،

تحترم هاري على كل ما حققه. أما تشونسي فلم يحقق أي شيء طوال حياته. كل ما فعله هو لعب البولو وشراء الأحصنة. وفي السنوات الأولى التي قضياها مع بعضهما، عمل في مصرف عائلته، لكنه توقف بعدها بسرعة. واحتاج ذلك إلى الكثير من الجهد، وواجه هو الكثير من المشاكل. واليوم، هو لا يتظاهر بالحياة المتراخية التي عاشها، ويقول دوماً مازحاً إن العمل هو للأغبياء. إنه متفاخر في الصميم.

بدا منقطع الأنفاس حين أمسك بسماعة الهاتف. جاء راكضاً من الاسطبلات، وتفاجأ حين قالت له فيليسيا إن أولمبيا تتصل به. فهي لا تتصل به أبداً إلا إذا كان هناك أمر سيئ جداً. ومهما كانت المشاريع أو المعلومات التي تودّ مشاركتها معه، كانت ترسلها بالبريد الإلكتروني.

"هل من خطب؟" سألها وهو يبدو قلقاً. كانت ستكشف عن ردة الفعل نفسها لو اتصل هو بها. فالاتصالات العادية مقطوعة بينهما. لم يكن أي منهما مهتماً بإقامة علاقات اجتماعية مع الآخر. لم يستطع هو أن يفهم الخيارات التي اتخذتها، بذهابها إلى كلية الحقوق وزواجها من يهودي. ولم تحترم هي اختياره للحياة التي عاشها ومع من. رأت أن فيليسيا مغفلة. لكن سواء أرادت ذلك أم لا، هي تتشارك مع تشونسي ثلاثة أولاد مما يجبرهما على إبقاء بعض الاتصال بينهما، وإن في مناسبات نادرة جداً، مثل حفلة الفتاتين. ستكون هناك لاحقاً حفلات الزفاف، وولادة الأحفاد، والعمادات. بالنسبة إلى أولمبيا، لم يكن هذا أمراً مرحباً به. ولا بالنسبة إليه هو أيضاً. لقد أصبح ينفر منها كثيراً

على مر السنوات، ولم يفهم سبب زواجه منها أصلاً.

"لا. كل شيء بخير. لم أقصد إزعاجك. أردت فقط التحدث معك قبل الليلة الكبيرة. لا أصدق أنها أصبحت وشيكة جداً. أين ستمكث؟"

"في منزل شقيق فيليسيا. إنه في أوروبا". سمعت أولمبيا قبل أعوام عدة أنه منزل فخم جداً في فيفث أفنيو، ويطلّ على منظر رائع جداً على الساحة الكبيرة، وفيه زجاجية فوق حوض ساخن في الحديقة. كان رجلاً عازباً وأكبر قليلاً من فيليسيا. كان معروفاً بعلاقاته العاطفية مع نجمات هوليوود المبتدئات وأميرات أوروبيات. تأثرت الفتاتان كثيراً بسيارة الفيراري التي يملكها حين التقتا به في المرة الأخيرة.

"يبدو ذلك جيداً"، قالت أولمبيا برقة. "هل ستمكثان هنا طويلاً؟" تساءلت ما إذا كان يجدر بها دعوتهما إلى المنزل لتناول شيء ما، لكنها اشمأزت من الفكرة، وعرفت أن هاري سيفعل ذلك أيضاً. فالرجلان لا يحبان بعضهما. كان هاري مهذباً معه، لكن تشونسي بالكاد يتصرف بلباقة. فلقد كان يتجاهله.

"فقط لعطلة نهاية الأسبوع. هل سلوك فيرونيكا جيد؟" سأل تشونسي باهتمام.

"هكذا يبدو. عثرت أخيراً على رفيق لها للحفلة. شاب اسمه جيف أدامس. تقول إنه محترم. أتمنى أن تكون محقة".

"إذا لم يكن كذلك، أو إذا كان يبدو مقرفاً سوف تطرده اللجنة أثناء التمارين. هل من فكرة عن أهله؟" لم يسأل ما إذا كان أهل جيف من الطبقة الراقية، لكن أولمبيا عرفت أنه يرغب فعلاً في معرفة ذلك.

"لا. كل ما قالته إن أخته شاركت في مثل هذه الحفلة العام الماضي"، مما يعني أنه سيحظى بموافقة تشونسي. هذا كل ما في الأمر. كانت المعايير بسيطة بالنسبة إليه.

"اسأليها عن اسم والده. أستطيع الاستفسار عنه في سجل المجتمع الراقي، فأنا ربما أعرفه". على الأقل، قد يكون ذلك مطمئناً. فالمجتمع الراقي يتحكم بحياة تشونسي، تماماً مثلما يتحكم الكتاب بحياة بعض الأشخاص. كان هذا كتابه المقدس. لا تملك أولمبيا واحداً، رغم أن عائلتها كانت تنتمي إليه قبل أعوام عدة. وقد تخلوا عنها حين تزوجت هاري واختفت من المشهد الاجتماعي المترف إلى الأبد. في الواقع، إنها فعلت ذلك حين انفصلت عن تشونسي. أبقوا اسمها في سجل الطبقة الراقية لسنتين بعد ذلك، بدافع اللياقة، ثم شطب اسمها منه بعدما تزوجت مرة جديدة. اعتبر تشونسي الأمر مأساة كبرى، فيما اعتبرته أولمبيا ممتعاً.

"لا أظن أني أريد إزعاج فيرونيكا أكثر مما هي منزعجة أصلاً. أنا شاكرة لأنها وافقت على الذهاب إلى الحفلة".

"أتمنى ذلك"، قال، كما لو أنهما تخطيا مأساة عظيمة أو كانا على وشك الغرق. لم يتخيل يوماً أن تكون لديه ابنة لا تشارك في الحفلة الراقصة المخصصة للمجتمع الراقي. ستكون هذه كارثة في حياته. "اشترتا فستانين، حسبما أظن"، قال وهو يحاول المحافظة على روح المزاح التي اعتمدتها. كان متفاجئاً لأنها اتصلت به، من دون سبب مهم ظاهرياً، واعتبر الأمر مريباً، ولكن إذا كان صادقاً فعلاً، يكون هذا لطفاً منها. فحين يتصلان ببعضهما عادة، يكون ذلك بسبب نزاع ما، وكانت هي لطيفة معه.

"سوف تبدوان رائعتين"، طمأنته أولمبيا. "الفستانان جميلان".

"لا أتفاجأ"، قال برفق. "لديك ذوق جيد". أفضل من فيليسيا، وهو يعرف ذلك. كانت أولمبيا تتمتع بذوق رفيع. أما فيليسيا فكانت سطحية قليلاً، رغم أنه لم يعترف بذلك لأي من زوجتيه. "هل سيأتي زوجك؟" لم تكن لديه فكرة عن سبب طرحه مثل هذا السؤال، إذ بدا من البديهي أن يحضر، وتفاجأ تشونسي حين ترددت.

"في الواقع، لا. لن يأتي. لديه حدث عائلي عليه حضوره"، ثم تذكرت أن فريدا ستكون موجودة، وقررت أن تكون صادقة معه. "في الواقع، ليس هذا صحيحاً. يظن أن الفكرة كلها غير صحيحة سياسياً، إذ تستثني الأشخاص من بقية الأعراق والألوان، ولذلك لن يأتي".

"هذا مؤسف لك"، قال وهو يبدو متعاطفاً ولو لمرة. "سوف نهتم بك أنا وفيليسيا". كان هذا ألطف تصرف عرفته منذ أعوام، وشعرت أولمبيا بالسرور لأنها أخذت بنصيحة تشارلي. فقد أصبحت الأمور ألطف قليلاً بينهما وكسر الجليد قبل التوتر المحتّم في الليلة الكبيرة. سوف تكون الفتاتان عصبيتين، ورأت أنها ستكون كذلك هي أيضاً، بسبب تحضيرهما وإيصالهما إلى مكان الحفل والتأكد من أن كل شيء على ما يرام. هذا من دون ذكر رفيق فيرونيكا في الحفلة الذي لم تلتقِ به أبداً من قبل، وموقفها تجاه الحفلة. أدركت أولمبيا أنه ما زال ممكناً انسحاب فيرونيكا من الحفلة، في الثانية الأخيرة. أملت ألا تفعل ابنتها ذلك، وقد طلبت من هاري مرات عدة ألا يبدل رأيها أو يشجعها على القيام بتصرف غبي. ووعدها ألا يفعل ذلك أبداً.

"هل من شيء أستطيع فعله لك قبل أن تأتي؟" سألت أولمبيا بكرم. "أعرف مزين شعر جيد إذا احتاجت فيليسيا إلى واحد. وإذا أرادت، أستطيع حجز موعد لها".

"أظن أنها تعرف واحداً، لكن شكراً على أية حال. اهتمي بنفسك، أولمبيا، ولا تدعي الفتاتين تثيران جنونك. نراك هناك".

بعد برهة، أغلقت الخط وجلست تحدق في الهاتف. كانت شاردة جداً بحيث لم تلاحظ دخول مارغريت مع كدسة من الأوراق بين ذراعيها.

"تبدين وكأنك شاهدت للتو أفعى كبيرة على مكتبك. هل كل شيء على ما يرام؟"

"أظن ذلك. الأمر أشبه بأفعى في ثياب حمل. اقترح تشارلي عليّ أن أتصل بوالده قبل الحفلة. فعلت ذلك. لا أصدق كم كان لطيفاً". بدت أولمبيا مذهولة فعلاً. كان لطيفاً معها بشأن الحفلة أكثر من هاري. لكن هذا حدث مهم بالنسبة إلى تشونسي وليس بالنسبة إلى هاري.

"الأفعى القديمة ماتت"، قالت مارغريت مع ابتسامة.

"أظن ذلك. لم يكُن لطيفاً هكذا منذ خمسة عشر عاماً. أظن أنه مسرور لأن الفتاتين ستشاركان في الحفلة. إنه حدث كبير بالنسبة إليه".

"إنه فعلاً حدث كبير. يفترض أن تكون الحفلة ممتعة لهما. وربما لك أيضاً. أنا أتطلع شوقاً إليها. لم أحضر أبداً مثل هذه الحفلة قبلاً. اشتريت فستاناً جديداً".

"أنا أيضاً"، ابتسمت أولمبيا، شاكرة دعم صديقتها لها. فهي لا تستطيع إخبار هاري بهذا الأمر. إنه يشعر بالخزي لإعطاء المسألة أهمية كبيرة. وكانت هي الوحيد المجروحة من ذلك.

"هل تراجع هاري عن قراره؟" سألت مارغريت بحذر، وهي تضع الأوراق على مكتب أولمبيا. فلقد أرادت أخذ رأيها فيها.

"لا. ولا أظن أنه سيفعل. حاولنا جميعاً معه. استسلمت في النهاية. على الأقل، لا يتصرف تشونسي بفظاظة. رغم أن الله وحده يعلم كيف سيتصرف في تلك الليلة". فهو يميل إلى الشرب كثيراً، وإن بوتيرة أقل مما كان يفعل خلال زواجه منها، حسب قول أصدقائه.

"لا تقلقي، أولي. سأكون هناك لمساعدتك"، طمأنتها مارغريت.

"سأحتاج لذلك"، قالت أولمبيا فيما سحبت الأوراق نحوها، عبر مكتبها، وجلست مارغريت لتراجعها معها. لم تعرف أولمبيا، على الرغم من حديثها الودي مع تشونسي، لماذا تشعر بأن الحفلة الراقصة لابنتيها في القناطر ستكون مصدر تحدٍّ أكثر مما ظنت قبلاً. خصوصاً من دون وجود دعم هاري.

الفصل 5

في عطلة نهاية الأسبوع التي سبقت الحفلة الراقصة، استيقظت أولمبيا وهي تعاني من حرارة مرتفعة جداً. شعرت بالتوعك منذ يومين. كانت تعاني من التهاب اللوزتين، وألم في المعدة، واحتقان في الأنف، وبحلول ليلة السبت، شعرت وكأنها تموت. كانت حرارتها 102 درجة فهرنهايت. أصبحت أفضل قليلاً يوم الأحد، لكن ألم المعدة كان أسوأ. وحين نزلت إلى الطابق السفلي صباح يوم الأحد، كانت تبكي فعلاً من الألم. كان هاري يحضر الفطور لماكس، ولاحظت أن وجه ابنها أحمر ساطع. أخذت حرارة ماكس مباشرة بعد تناوله الفطور. كانت 103 درجات فهرنهايت، وقال إنه يشعر بوجوب حك بطنه. حين نظرت إليه، لاحظت طفحاً جلدياً مزعجاً فيه. كان الطفح على شكل بثور صغيرة، وحين أخرجت نسختها الموثوقة من كتاب الدكتور سبوك، التي تحتفظ بها منذ ولادة تشارلي، لاحظت أن ما يعاني منه ماكس يتطابق تماماً مع وصف جدري الماء، مثلما شكت هي.

"اللعنة!" قالت، فيما أغلقت الكتاب. ليس هذا الأسبوع الملائم ليمرض أي منهما. عليها أن تكون يقظة ومنتبهة لكل

شيء، ولديها كدسة من القضايا الجديدة في المكتب، فيما أخذت مارغريت أسبوع إجازة. وهي تكره أن تترك ماكس مع حاضنة أطفال حين يكون مريضاً، حتى لو أصبحت بصحة جيدة كفاية للذهاب إلى العمل. اتصلت بطبيب الأطفال الذي طلب منها وضع ماكس في المغطس مع مسحوق أوصى به، واستخدام الكثير من الكالامين، وإبقاءه في السرير. ما من شيء آخر يمكن القيام به. لحسن الحظ أن حرارتها هي انخفضت ليلة الأحد. صحيح أنها ما زالت تشعر بالإنهاك، لكن مرضها مجرد أنفلونزا، أو زكام سيئ، وتأمل أن يتحسن خلال أيام قليلة. يفترض أن يعود تشارلي إلى المنزل ليلة الثلاثاء ويمكن أن يساعدها في رعاية ماكس. وسوف تعود الفتاتان إلى المنزل بعد ظهر يوم الأربعاء. اتصلت بها جيني في وقت متأخر من ليلة الأحد. كان صوتها مريعاً. قالت إنها تعاني من الالتهاب الشعبي في الرئتين، وبدت وكأنها تموت اختناقاً حين سعلت على الهاتف.

"ابقي في السرير غداً"، حذرتها أمها. في الوقت الحاضر، تبدو مريضة جداً للعودة إلى المنزل.

"لا أستطيع. لديّ الامتحانات النهائية"، قالت جيني وانفجرت سريعاً في البكاء.

"هل يمكنك أن تطلبي منهم إجراء امتحانات تعويضية لك؟" اقترحت أولمبيا. "تبدين مريضة جداً للخروج من المنزل".

"الامتحانات التعويضية يوم الجمعة. إذا فعلت ذلك، لن أعود إلى المنزل إلا ليلة الجمعة". بكت بمرارة. كانت مريضة جداً لكنها لم تشأ تفويت الحفلة في عطلة نهاية الأسبوع.

"قد لا يكون أمامك خيار آخر سوى الخضوع للامتحانات التعويضية".

"ماذا لو لم أقم بها جيداً؟"

"هذا متوقع. اذهبي إلى المستوصف غداً، واسألي ما إذا كانوا سيصفون لك المضادات الحيوية كي لا تنتهي بالإصابة بالالتهاب، وتصبحي مريضة فعلاً. فهذا يساعدك". لقد أعطتهما لقاح التهاب السحايا قبل ذهابهما إلى الجامعة في سبتمبر، وهي تعرف على الأقل أن الأمر لن يكون أسوأ من زكام قوي أو التهاب الشعبيات في أسوأ الأحوال، وتستطيع المضادات الحيوية الحؤول دون تفاقمه إلى التهاب في الرئة. بدا صوت جيني مريعاً. لغاية الآن، لم تلتقط فيرونيكا العدوى، لكن نظراً لمشاركتها غرفة صغيرة مع أختها، لن تتفاجأ أولمبيا إذا مرضت فيرونيكا أيضاً. "ماكس يعاني من جدري الماء"، قالت أمها بحزن. "الحمد لله أنكم أصبتم جميعاً به قبلاً. هذا ما كان ينقصنا. الولد الصغير مريض جداً أيضاً. نحن في حالة فوضى"، قالت أولمبيا بكآبة. أصبح الأسبوع مثل الجحيم مع المشاكل في كل مكان.

يوم الاثنين، أصبحت أفضل حالاً، فيما أصبح ماكس أسوأ، واتصلت جيني لتقول إنهم أعطوها المضادات الحيوية، ولذلك أملت أولمبيا في أن تصبح أفضل حالاً في نهاية الأسبوع. ذهبت لإجراء امتحاناتها وانفجرت بالبكاء حين اتصلت بأمها وقالت إنها أكيدة من أنها رسبت. أخبرت أمها أن حبيبها الجديد، ستيف، مجرد أحمق، لكنه قال إنه سيأتي إلى الحفلة. بدا الأمر بمثابة نعمة بالنسبة إلى أمها، لكنها لا تملك الوقت لسؤالها عن التفاصيل. لقد

جاءت حاضنة الأطفال للاهتمام بماكس، وعليها هي الذهاب إلى العمل سواء كانت مريضة أم لا.

جلست أولمبيا أمام مكتبها وهي تنفخ أنفها (تنظفه) طوال اليوم. أصبح ألم المعدة أفضل، فيما أنفها جارٍ وتعاني من الصداع. طلبت خلال النهار أطباقاً عدة من حساء الدجاج من متجر مجاور. كانت تتصل بحاضنة الأطفال كل ساعة، وقالت لها إن ماكس بخير، لكنه أصبح في نهاية اليوم مغطى بالبقع. سيكون الأسبوع صعباً من دون أي شك.

بدأ الثلج يتساقط ذلك الصباح، وبحلول بعد الظهر، وصلت سماكة الثلج في المدينة إلى خمسة إنشات تقريباً. قالوا على الراديو إن المدارس ستقفل أبوابها في اليوم التالي. فقد توقعوا أكثر من عشرة إنشات خلال الليل، وأعلنوا وصول عاصفة ثلجية عنيفة في الساعة الخامسة. فكرت أولمبيا لبرهة في الاتصال بحماتها لسؤالها ما إذا كانت تحتاج إلى أي شيء. لا تريدها أن تخرج وتقع على الثلج إذا انخفضت الحرارة تلك الليلة. طلبت رقمها، لكن لم يجب أحد، ولم تخرج أولمبيا من المكتب إلا بعد السادسة مساء في تلك الليلة. كادت تتجمد من البرد وهي تنتظر سيارة أجرة، وحين وصلت إلى المنزل، كانت مبللة تماماً ووصل البرد إلى عظامها. كان ماكس قد خلد إلى السرير، ويشاهد أفلام الفيديو، وهو مغطى بمحلول الكالامين.

"مرحباً حبيبي. كيف حالك؟"

"أشعر بالحكاك"، قال وهو يبدو غير سعيد. لقد ارتفعت حرارته مجدداً، لكن حرارة أولمبيا لم ترتفع على الأقل. لقد عاشت

يوماً بائساً ومليئاً بالضغوط في المكتب. وترك هاري رسالة في المنزل تقول إن لديه حالة طارئة في العمل ولن يعود إلى المنزل قبل الساعة التاسعة على الأقل. لم يعد بوسعها الانتظار حتى يأتي تشارلي إلى المنزل في اليوم التالي، ويساعدها على الأقل في تسلية ماكس، الذي بدا مريضاً ومرتفع الحرارة وسئماً. كان تشارلي مذهلاً معه، وشعرت أولمبيا بالارتباك. والأسوأ من ذلك أن هاري كان لا يزال خارجاً حين شعرت هي نفسها أنها مريضة مجدداً.

حضرت حساء الدجاج لها ولماكس، ووضعت له بيتزا مجلدة في المايكروويف، ونفخت أنفها أربعمئة مرة تقريباً. كانت قد وضعت ماكس في سريره للتو، وأطفأت له الأنوار، ودخلت إلى غرفتها وهي تتوق إلى حمام ساخن حين رنّ الهاتف. كان الثلج خارجاً لا يزال يتساقط بقوة. إنها فريدا التي اعتذرت على الاتصال بها. عرفت أن ماكس مصاب بجدري الماء وسألت عن حاله.

"ولد مسكين. يبدو مريعاً. إنه مغطى بالكالامين. لم أكن أظن أن مثل هذا العدد الكبير من البثور يمكن أن يتواجد في جسم ولد واحد. هناك بثور حتى في أذنيه وأنفه وفمه".

"مسكين. وكيف هو زكامك؟"

"تعيس"، اعترفت أولمبيا. "أتمنى أن أتخلص منه قبل ليلة السبت".

"نعم، وأنا أيضاً"، قالت فريدا وهي تبدو غامضة. وللمرة الأولى، شعرت أولمبيا أن حماتها ثملة. لم تلاحظ الأمر في البداية،

لكنها كانت تتلعثم بوضوح في كلماتها. خافت أولمبيا لبرهة من أنها أصيبت بسكتة دماغية. فقد تعرضت لنوبة قلبية قبل خمسة أعوام، لكنها أصبحت بخير بعد ذلك.

"هل أنت على ما يرام؟" سألت أولمبيا وهي تبدو قلقة.

"نعم... نعم... أنا...". ترددت، واستطاعت كنّتها سماع ارتعاش في صوتها. "تعرضت لحادث بسيط بعد الظهر"، قالت وهي تبدو محرجة. كانت تحب استقلاليتها، وتتدبر أمورها لوحدها، ولا تحب أبداً أن تكون عبئاً على أحد. نادراً ما كانت تخبر أحداً حين تكون مريضة، وإنما تذكر الأمر بعد أيام أو أسابيع.

"أي نوع من الحوادث؟" سألت أولمبيا وهي تنفخ أنفها.

كان هناك صمت طويل، ولبرهة، خشيت أولمبيا أن تكون حماتها قد نامت. بدت ثملة بلا أي شك.

"فريدا؟" قالت أولمبيا، وسمعتها تتحرك في الطرف الآخر.

"آسفة... أشعر بالقليل من الدوار. ذهبت لشراء بعض الحاجيات قبل أن تسوء العاصفة. انزلقت على الثلج. لكني بخير الآن". لكنها لم تكن كذلك.

"ماذا حصل؟ هل تعرضت لأذى؟"

"لا شيء خطير"، طمأنتها فريدا. "سأكون بخير خلال أيام قليلة".

"كم ستكونين بخير؟ هل راجعت طبيباً؟"

كان هناك صمت طويل آخر قبل أن تجيب. "كسرت كاحلي"، قالت وهي تبدو حزينة وتشعر بأنها حمقاء. "وقعت

على رقعة من الثلج عند حافة الطريق. كان أمراً غبياً. كان يجدر بي الانتباه أكثر".

"أوه، يا إلهي. هذا مريع. هل ذهبت إلى المستشفى؟ لماذا لم تتصلي بي؟"

"أعرف كم أنت مشغولة في العمل. لم أشأ إزعاجك. اتصلت بهاري، لكني لم أستطع التكلم معه. كان في اجتماع".

"وهو لا يزال"، قالت أولمبيا وهي تشعر بحزن واضح لما جرى لحماتها، ولأنها لم تكن موجودة لمساعدتها. "كان يجدر بك الاتصال بي، فريدا". لا تحب فكرة ذهاب امرأة متقدمة في العمر إلى غرفة الطوارئ لوحدها.

"وضعوني في سيارة الإسعاف وأخذوني إلى مستشفى نيويورك". كانت مغامرة حقيقية، وبقيت هناك طوال بعد الظهر.

"هل وضعوا لك جبيرة؟" كانت أولمبيا مذعورة. فما حدث لفريدا أسوأ كثيراً من جدري الماء مع ماكس، وسعال جيني، وزكامها هي.

"لغاية ركبتي".

"وكيف عدت إلى المنزل؟"

"لست في المنزل".

"لست في المنزل؟ أين أنت؟" كانت القصة تسوء كل دقيقة.

"لا أزال في المستشفى. لا يريدون أن أعود إلى المنزل لوحدي. سأستعمل عكازين لبضعة أسابيع. أنا محظوظة لأني لم أكسر وركي".

"أوه، يا إلهي، فريدا. سآتي لأحضرك. يمكنك البقاء هنا معنا".

"لا أريـــد أن أكون عبئاً. سأكون بخير غداً. وسوف أذهب إلى الحفلة!"

"طــبعاً ستذهبين. سوف نحضر لك كرسياً متحركاً"، قالت أولمبـــيا وهي تفكر فجأة في سبل أخذها إلى هناك. ما من شيء سهل في الحياة، خصوصاً في هذا الوقت من السنة.

"سوف أمشي"، قالت فريدا بقوة، رغم أنهم أخبروها أنها لن تـــتمكن من فرض وزن على قدمها اليسرى طوال أسابيع عدة. ســوف تــضطر إلى الــوثب بمساعدة عكازين. لكنها ما زالت مصممة على ألاّ تكون مشكلة لأي أحد. فكما هي الحال دوماً، إنها متأكدة من أنها تستطيع تدبر أمرها لوحدها.

"يمكنك البقاء هنا الليلة. أصبت قبلاً بجدري الماء، أليس كذلك؟"

"أظـــن ذلـــك. لست قلقة بشأن ذلك". عرفت أولمبيا أن التعــرض لجدري الماء قد يفضي أحياناً إلى داء القوباء عند الكبار في الـــسن. لكنهم لا يستطيعون تركها لوحدها في المنــزل. فقد تقـــع وتكسر شيئاً آخر. عليها البقاء معهم. "لا أريد أن أزعجك أنـــت والأولاد"، قالت فريدا، وفيما كانت أولمبيا تصغي إليها، أدركت أنهم أعطوها بلا شك دواء للألم.

"لـــست مـــصدر إزعاج، وما من سبب لبقائك هناك. هل يسمحون لك بالمغادرة الليلة؟"

"أظن ذلك"، قالت فريدا بغموض.

"ســـوف أتـــصل وأسأل الممرضة، وأعاود الاتصال بك". أخـــذت منها أولمبيا تفاصيل رقم غرفتها، وقسم المستشفى الذي تمكـــث فيه، ورقم غرفة الممرضات الأقرب إليها. على الرغم من

تـــناولها دواء مـــسكناً، كانـــت متناسقة بوضوح في كلامها، واعـــتذرت مراراً عن كونها مصدر إزعاج لهم. "لستِ كذلك"، طمأنـــتها أولمبـــيا، وأقفلت السماعة. حاولت الاتصال بهاري في المكـــتب، لكن المجيب الصوتي كان يرد على رقمه الخاص، فيما غادرت سكرتيرته. لقد تجاوز الوقت الساعة الثامنة.

اتصلت بالمستشفى، وطمأنوها بأن السيدة روبنشتاين بخير، لكـــنهم أبقوها الليلة عندهم كي لا تكون لوحدها في المنـــزل. لقد أعطوها دواء فيسودين لتسكين الألم القوي الذي تعاني منه، لكـــن ما من سبب طبي يمنع خروجها من المستشفى. بالنسبة إلى امرأة في عمرها، كانت بصحة جيدة وتتمتع بترابط منطقي كامل حين جاءت إلى المستشفى. قالت الممرضة المناوبة إنها امرأة رائعة. وافقتها أولمبيا، ثم اتصلت بالحاضنة، وسألتها ما إذا كانت تستطيع العـــودة لـــساعة. لحسن الحظ أنها كانت تعيش في مكان مجاور، وعادت بعد عشرين دقيقة فقط. أخبرتها أولمبيا بما حدث، وفيما كانـــت تنتظر الحاضنة، حوّلت الغرفة الصغيرة في الطابق الأرضي إلى غـــرفة نـــوم لفريدا. كانت هذه الغرفة تضم حماماً، وجهاز تلفزيون، وسريراً قابلاً للفتح، وهم يستعملونها أحياناً بمثابة غرفة للـــضيوف. هكـــذا، تـــتمكن فريدا من البقاء معهم قدر ما هو ضـــروري. كانـــت واثقة من أن هذا ما يريده هاري أيضاً. في الـــساعة الثامنة والنصف، خرجت من باب المنـــزل وعادتا إليه بعد ساعة. كان هاري لا يزال خارجاً.

أجلست فريدا بطريقة مريحة في غرفة الضيوف، وأحضرت لهـــا شيئاً لتأكله، وشغّلت جهاز التلفزيون، ورتبت لها الوسائد،

وأخـــذتما إلى الحمـــام، حاملة معظم وزنها فيما اتكأت هي على العكازين، ثم وضعتها في السرير. في تمام الساعة العاشرة، كانت أولمبيا في الطابق العلوي في غرفتها حين عاد هاري إلى المنـــزل. دخـــل إلى غرفة نومهما وهو يبدو مرهقاً. واجه يوماً صعباً جداً، مـــع قـــضية استحوذت على انتباه الصحافة المحلية، مما سبب له المشاكل هو وبقية القضاة في غنى عنها.

"من يمكث في غرفة الجلوس؟" افترض أنه واحد من أصدقاء تـــشارلي. فقد كانوا يستخدمون الغرفة للضيوف الإضافيين حين يكون كل الأولاد في المنـــزل. هذه هي غرفة الضيوف الوحيدة الموجودة لديهم.

"أمـــك"، قالت أولمبيا، وهي تنفخ أنفها للمرة الألف. بعد معالجة الحادثة المؤسفة، أصبح زكامها أسوأ وأسوأ.

"أمي؟ ماذا تفعل هنا؟" بدا مرتبكاً.

"كـــسرت كاحلها. أخذوها إلى مستشفى نيويورك في سيارة الإسعاف، ولم تتصل بي. ذهبت لإحضارها منذ نصف ساعة فقط".

"هل أنت جادة؟" بدا مذهولاً.

"نعـــم". نفخت أنفها مجدداً. "لا تستطيع البقاء في منـــزلها لـــوحدها. إنها تضع جبيرة وتستعمل عكازين. أظن أنه يجدر بها البقاء هنا لبعض الوقت".

ابتـــسم هاري بطريقة حنونة لزوجته. لم تخذله أولمبيا أبداً.

"هل هي مستيقظة؟"

"كانـــت كذلك قبل دقائق قليلة، لكنها متأثرة بالأدوية التي أعطوها إياها لتخفيف الألم. فالمؤسف أن هذا يؤلم كثيراً. قلت لها

أن تتـــصل بي عـــبر الهاتف الداخلي إذا احتاجت إلى ذلك، وألا تحاول الذهاب إلى الحمام لوحدها. أنت تعرفها. سوف تحضر لنا الفطور جميعاً في الصباح. علينا ربطها في السرير".

"ســـوف أنـــزل لأراها"، قال وهو يبدو قلقاً، ثم التفت نحو أولمبـــيا مجدداً وهو يخرج من الباب. "أحبك. شكراً لأنك كنت لطيفة معها".

ابتسمت له أولمبيا. "إنها الأم الوحيدة التي لدينا".

"أنت أفضل زوجة في العالم".

عاد بعد عشر دقائق وهو متأثر بحجم جبيرة أمه، والعكازين الموضوعين قرب سريرها. لقد نامت. "أطفأت جهاز التلفزيون، وتركت لها ضوءاً خافتاً. إصابتها كبيرة. يبدو ذلك من الجبيرة".

"قالوا إنه كسر سيئ. إنها محقة. فهي محظوظة لأنها لم تكسر وركها. إذا كان يمكن القول إنه حظ. كيف كان يومك؟"

"أفضل قليلاً فقط من يومها. الصحافة تقودني إلى الجنون في هذه القضية. تبدين مريعة. كيف حالك؟"

"مثلما أبدو. أتمنى أن يصل تشارلي بخير إلى المنـــزل في هذا الطقس. أنا بحاجة فعلاً إلى مساعدته هذا الأسبوع".

بـــدا هاري فجأة وكأنه يعتذر. "أنا آسف لأني لا أستطيع أخذ يوم إجازة. لا أستطيع في الوقت الحاضر".

"أعرف"، قالت بأسى. "أنا أيضاً. لدي الكثير من العمل في المكـــتب. أخذت مارغريت إجازة طوال الأسبوع. سوف تخضع أمها لعملية استئصال الثدي".

"يا إلهي. هل من أحد لا يزال بخير؟"

"الحمد لله أنك كذلك". هناك جدري الماء، والكاحل المكسور، والزكام. أملت في أن تبقى فيرونيكا بصحة جيدة، ويتحسن وضع جيني لحفلة يوم السبت. "إذا أردت النوم في غرفة تشارلي هذه الليلة، لا بأس. لا أريدك أن تصاب بهذا الزكام أو الأنفلونزا، أو أياً كان. إنه مريع".

"لا تكوني سخيفة. لست خائفاً منك. أنا لا أمرض أبداً".

"شش!" قالت وهي تضع إصبعاً على شفتيها. "لا تقل ذلك!" ضحك عليها، وأخذ حماماً وخلد إلى السرير بعد نصف ساعة. كانت لا تزال تنفخ أنفها وتسعل، وكانت قد تحققت للتو من ماكس، كان نائماً.

"يبدو وكأنك ستديرين مستوصفاً هذا الأسبوع"، قال هاري فيما اقترب منها ووضع ذراعيه حولها. أدارت له ظهرها كي لا تتنفس في وجهه، وشعرت بالارتياح لوجوده قربها.

"أنا آسفة بشأن أمك. إنه حظ عاثر لها".

"إنها محظوظة بوجودك أولي... وأنا أيضاً... لا تظني أني لا أقدّر كل ذلك لك. أنت امرأة مذهلة".

"شكراً، قالت فيما خلدت للنوم بين ذراعيه. "لست سيئاً جداً أنت أيضاً".

فوعدها "سأحاول أن أعود باكراً إلى المنزل غداً". أومأت له برأسها ونامت بعد ثوانٍ قليلة.

الفصل 6

نهضت أولمبيا في تمام السادسة من صباح اليوم التالي لرؤية فريدا. لم يكن زكامها أفضل حالاً، لكنه على الأقل ليس أسوأ. كانت حمامها لا تزال نائمة، ولم يكن هناك دليل على أنها نهضت خلال الليل. بدت وكأنها لم تتحرك إنشاً واحداً منذ أن وضعتها أولمبيا في السرير في الليلة الفائتة. أعطتها أولمبيا واحداً من قمصان نومها، وهو عبارة عن قميص نوم كبير من القطن ارتدته حين كانت حاملاً بماكس. كان قميص النوم قصيراً على فريدا، وذا أكمام قصيرة، وهذا أمر لا تحبه حماتها. كانت ذراعاها فوق الشراشف، واستطاعت أولمبيا رؤية الوشم الذي حاولت دوماً إخفاءه. في الواقع، إن مشاهدته، وإن في مرات نادرة، كان يجعل أولمبيا دوماً حزينة. كان يستحيل عليها أن تتصور كيف كانت تلك الأعوام بالنسبة إليها. ولطالما تأثرت أولمبيا بقصة نجاتها. خرجت من الغرفة على رؤوس أصابعها، وعادت إلى الطابق العلوي للاستحمام. كان هاري قد ارتدى ثيابه تقريباً. عليه أن يكون في المكتب بسبب مؤتمر صحافي في وقت باكر من هذا الصباح. وفي تمام السابعة، فيما كانت أولمبيا تمشط شعرها، استيقظ ماكس. قال إنه يشعر بتحسن، رغم أنه لا يزال هناك

الكثير من البقع كما في الليلة الفائتة، إن لم يكن أكثر.

"كيف حال كل مرضاك؟" سأل هاري فيما وضع سترته وسوّى ربطة عنقه.

"يقول ماكس إنه أفضل، ولا تزال أمك نائمة".

"هل بمكنك تدبر أمرك؟" سألها وهو يبدو قلقاً وإنما أيضاً مستعجلاً.

ضحكت أولمبيا. "هل أملك خياراً؟"

"أظن لا"، قال وهو يبدو معتذراً. يعرف على الأقل الآن أن ذهاب أمه إلى الحفلة لن يكون ممكناً. لديه العذر للبقاء في المنزل للاعتناء بها، الأمر الذي سيخلصه من الورطة ويجعله لا يبدو كريهاً جداً لعدم ذهابه. كان يشعر بالذنب لعدم ذهابه منذ أسابيع، لكن مهما كان شعوره بالذنب، كان يرفض الذهاب بصورة مطلقة. والآن، لا تستطيع أمه الذهاب هي أيضاً. لا يمكنها الذهاب إلى حفلة راقصة على عكازين، وهي عاجزة عن فرض أي وزن على قدمها. لم يقل أي شيء لزوجته، لكنه شعر بالارتياح، رغم أنه أسف لحادث أمه والعبء الذي سيشكله على زوجته. بدا له الأمر نوعاً ما وكأنه تدخل من العناية الإلهية.

"لا تقلق"، طمأنته أولمبيا. "سوف تأتي الحاضنة إلى هنا بعد نصف ساعة. يمكنها الاعتناء بهما معاً. وسوف يعود تشارلي الليلة إلى المنزل. يمكنه مساعدتنا ريثما تعود الفتاتان إلى المنزل. نستطيع بعدها التناوب جميعاً". أومأ برأسه، وهو غير مقتنع تماماً بتفاؤلها بشأن مساعدة ابنتيها. لم تكن جيني مشهورة بمساعدتها في المنزل. عرف أن تشارلي سيكون جيداً، وقد تمدّ فيرونيكا يد

العون إذا كان مزاجها جيداً وليس لديها مشاريع أخرى. ربما إذا لم تكن هناك مظاهرة شعرت بأنه عليها المشاركة فيها، وما من ولد مظلوم أو شخص مشرّد في مكان ما في المدينة تشعر أنها بحاجة إلى مساعدته. فمساعدة العائلة تأتي في مرتبة متدنية من لائحة أولوياتها، ومثلما يفعلون جميعاً، هي تعتمد على أمها للاهتمام بكل شيء. كانت أولمبيا تفعل ذلك دوماً تقريباً. شعر هاري بالذنب بسبب ذلك أيضاً. بعد خمس دقائق، وبعد قبلة سريعة لزوجته وعدها بأن يعود إلى المنزل في أبكر وقت ممكن، وغادر إلى العمل.

حضّرت أولمبيا قالب حلوى ميكي ماوس لماكس، ووضعت له فيلم فيديو، وتحققت من فريدا في غرفة الضيوف مجدداً. كانت لا تزال نائمة حين وصلت الحاضنة. كانت أولمبيا مسرورة لرؤيتها، وشرحت لها حالة كلا المريضين، ثم وضّبت حقيبتها وخرجت بسرعة من المنزل. كان هناك الكثير من الثلج الجديد على الأرض، لكنه توقف أخيراً عن التساقط. وكما هي العادة في مثل هذا الطقس، احتاجت إلى نصف ساعة للعثور على سيارة أجرة. اتصلت بها مارغريت في المكتب بعد ظهر ذلك اليوم وسألتها عن الأحوال. كل ما استطاعت أولمبيا فعله هو الضحك.

"حسناً، لنرَ. يعاني ماكس من جدري الماء، وكسرت فريدا كاحلها البارحة وهي الآن في منزلنا. أنا أعاني من زكام القرن. جيني مريضة في الجامعة. وتشارلي سيعود الليلة إلى المنزل، الحمد لله".

"غير ذلك، سيدة لينكولن، كيف كان العمل؟"

"أوه، نعـــم. حـــين تمطر، ينهمر المطر بغزارة. أتمنى أن تبقى الفتاتان بخير حتى ليلة السبت. بعد ذلك، نستطيع تقبل أي شيء".

"وماذا يفعل هاري للمساعدة؟"

"لا شـــيء في الـــوقت الحاضر. إنه يواجه أزمة في محكمة الاستئناف".

"أعـــرف. شاهدت مؤتمره الصحافي هذا الصباح. ورغم أني قلـــت بـــأني أكره هذا الرجل لأنه لن يذهب معك إلى الحفلة، وقعـــت مجدداً في غرامه بسبب المواقف التي اتخذها. هذا الرجل رائع فعلاً، رغم أني أظن بأنه وغد لعدم مرافقتك ليلة السبت".

"أظـــن أنه لا يمكنك الحصول على كل شيء"، قالت أولمبيا وهي تتنهد. "أنا أحبه أيضاً. إنه يدافع عن الحق، ويرغب في فعل ذلك حتى الموت. لكن هذا يشمل لسوء الحظ رأيه بشأن الحفلة. أظـــن أنـــه لا يمكنك الحصول على الأمر في كلا الاتجاهين. إنه يدافـــع عما يؤمن به. وعلى الأقل يتصرف تشونسي باحترام. لا شك في أنه مريض".

"إذا أساء إليك ليلة السبت، سألقنه درساً".

"كيف حال أمك؟"

"أفضل مما كنت أعتقد. ثمة شيء في ذلك الجيل من النساء. علينـــا الاعتراف بذلك. يتمتعن بالقوة ولديهن الكثير من العزيمة. إنها سعيدة لأنها على قيد الحياة".

"فريدا هكذا أيضاً. كل ما استطاعت فعله الليلة الماضية هو الاعـــتذار على كونها عبئاً علينا. حين يصبح ماكس أفضل حالاً

وغير قابل لنشر العدوى، يمكنهما على الأقل البقاء مع بعضهما. أظـــن أنـــه عندها الآن. عليّ التأكد. لا أريده أن يسبب لها داء القوباء".

"هـــذا كل ما ينقصك". تأثرت مارغريت بكل الأمور التي تعالجهـــا أولمبـــيا. لطالمـــا فعلت ذلك. أولاد، وعمل، وزوج، وأزمـــات. وتنجح نوعاً ما في السيطرة على كل شيء. يبدو أن هـــذا هـــو قدر النساء العاملات. يجب أن يكنّ مثل العباقرة في المكـــتب، ومثل الدينامو الذي لا يتعب في المنـــزل. بالنسبة إلى حالـــة مارغريت، هناك الكثير من المسائل الواجب معالجتها دفعة واحـــدة، ولـــذلك قررت عدم إنجاب الأولاد. يمكنها الجمع بين العمـــل والزوج، ولكن مع أربعة أولاد مثل أولاد أولمبيا، أو حتى ولـــد واحد، سيكون ذلك أكثر من قدرتها على التحمل. وهي تـــشير بانـــتظام إلى أنها لا تملك حتى نباتات أو حيوانات أليفة للاهتمام بها. فالعمل أكثر من كاف بالنسبة إليها. وكان زوجها رائعـــاً. فقـــد كان يهتم بالمنـــزل، وينظم حياتهما الاجتماعية، ويحـــضر لها الطعام حين تعود إلى المنـــزل. "أخبريني ما إذا كنت أســـتطيع المـــساعدة"، قالت مارغريت، لكن أولمبيا عرفت أنها مـــنهمكة جـــداً بأمهـــا. ستكون سعيدة بوجودها ليلة السبت. فالانتـــباه إلى فـــتاتين عصبيتين، وتشارلي والشاب الآخر الذي سيشارك في الرقص، وفريدا التي ستسير على عكازين أو ستجلس علـــى كرســـي متحرك، والتعاطي على الأرجح مع زوج سابق عدائي، سيجعل أولمبيا مجنونة.

بالـــرغم من وصول قضية جديدة إلى مكتبها في تمام الساعة

الـــرابعة، غـــادرت أولمبيا مكتبها باكراً ونجحت في الوصول إلى المنـــزل في تمام الخامسة. حين دخلت أولمبيا، كان ماكس يجلس على الأريكة في غرفة الجلوس قرب فريدا التي كانت تسند ساقها على كرسي، وكان تشارلي جالساً معهما، يشرب الشاي.

"حسناً، يبدو ذلك مثل مجموعة حميمة. مرحباً حبيبي"، قالت فـــيما عانقت ابنها بشدة للترحيب به في المنـــزل. بدا جلياً أنها سعيدة بعودته إلى المنـــزل، وبدا مسروراً هو أيضاً برؤيتها. كان مـــاكس لا يـــزال مغطى بالكالامين، لكن الطبيب طمأنهم بأن المـــرض لم يعد معدياً، ولذلك كانت فريدا تستمتع برفقته طوال بعد الظهر. وصل تشارلي إلى المنـــزل قبل ساعات قليلة مما كان متوقعاً. "كيف حال الجميع؟" سألت أولمبيا مريضيها.

"أفضل"، قال ماكس مع ابتسامة.

"رائعـــة"، قالـــت فـــريدا وهي تنظر إلى حفيديها. "كنت سأحاول أن أحضر العشاء لكم جميعاً لكن تشارلي لم يسمح لي". نظرت إليه أمه نظرة شكر وموافقة.

"لا يجـــدر بي تمـــني العكـــس. سوف أطلب طعاماً صينياً. ســـيكون ذلـــك ممتعاً". جلسوا جميعاً يثرثرون في غرفة الجلوس لـــبعض الوقت، وعاد هاري إلى المنـــزل بعد ساعة. كان النهار جـــيداً معه، وكان سعيداً برؤية تشارلي أيضاً. ذهب الاثنان إلى المطـــبخ لتـــناول العصير، فيما صعدت أولمبيا إلى الأعلى لتبديل ملابـــسها وارتـــداء الجينـــز. كان ماكس سعيداً حيث هو، مع جدته، يشاهد التلفاز. كانت لا تزال تعتذر على إزعاجهم، لكن كان جلياً أنها تستمتع بوجودها معهم.

كان العشاء احتفالياً تلك الليلة، وذهب بعدها كل واحد إلى غرفته، باستثناء تشارلي الذي تنـــزه مع أمه لبرهة. بدا وكأن شيئاً ما يدور في عقله، ولكن حين سألته أمه ما إذا كان هذا صحيحاً، أصـــرّ على النفي. قال إنه سعيد بكونه في المنـــزل معهم. ووعد بـــأن يبقـــى برفقة أمه وجدته في اليوم التالي، ثم خرج لاحقاً مع الأصدقاء. كان الطقس دافئاً قليلاً في ذلك اليوم، وتحول ما بقي مـــن الثلج إلى كتل نصف ذائبة، وإلى جليد خلال الليل. حذرته أولمبـــيا من ضرورة الانتباه، وذكّرته بما حدث لفريدا. نظر إليها تشارلي وابتسم، ثم غادر. لا تزال أمه تعامله أحياناً وكأنه في عمر الخامسة.

بـــين النـــزول إلى الطابق السفلي للتحقق من فريدا، ووضع مـــاكس في الـــسرير، وتنظـــيف المطبخ، والتحدث إلى تشارلي، والاســـتحمام أخيراً، لم تتح لأولمبيا فرصة التحدث إلى هاري إلا حين أصبحا في السرير تلك الليلة.

"كيف بدا لك تشارلي؟" سألت وهي تبدو قلقة.

"بخير. لماذا؟ يبدو وكأنه يقضي وقتاً رائعاً في لعب الهوكي. وأظـــن أنه مرتاح أكثر لمشاريعه المستقبلية. بدا لي متشنجاً خلال يوم الشكر، لكني أظن اليوم أنه مرتاح أكثر".

"لا أســـتطيع التأكد من ذلك. لكني أظن بأن هناك شيئاً لا يزال يزعجه"، قالت بغريزة الأم التي لا تخطئ.

"هل قال شيئاً لتوليد هذا الانطباع لديك؟"

"لا. يقـــول إنه بخير. ربما هذا من نسج مخيلتي، لكني مقتنعة بأن شيئاً ما يدور في عقله".

"أوقفي البحث عن الأمور الواجب القلق بشأنها"، قال لها هاري. "إذا كان غاضباً، سيخبرك. تشارلي جيد دوماً في ذلك". فرغم أنه كتوم مع الآخرين، كان قريباً منها بصورة استثنائية.

"ربما أنت محق"، قالت أولمبيا، وهي تبدو غير مقتنعة، وذكرت الأمر أمام فريدا في اليوم التالي حين عادت من العمل.

"من المضحك أن تقولي هذا"، قالت فريدا وهي تبدو كئيبة. "لا أستطيع إخبارك السبب، لكن تكوّن لديّ الانطباع نفسه حين جلس هنا يتناول الشاي معي البارحة. لا أعرف ما إذا كان قلقاً أم حزيناً. بدا مشغول البال. قد يكون قلقاً بشأن العثور على وظيفة حين يتخرج"، قالت بحذر. كان شاباً مسؤولاً جداً.

"يبدو لي هكذا منذ أن انتحر صديقه في الربيع الماضي. ما زلت أفكر في ذلك. أعرف أنه تلقى استشارة في الجامعة بسبب ذلك. قد يكون السبب شيئاً آخر. أو ربما لا شيء على الإطلاق. يظن هاري أني مجنونة"، قالت وهي تشارك حماتها كوباً من الشاي، وكانت هذه اللحظة الهادئة الوحيدة التي عرفتها طوال اليوم. لطالما أخبرتها فريدا أنها تبذل الكثير من الجهد. هذا هو قدر كل الأمهات العاملات، ولا سيما اللواتي اخترن مهنة الحقوق، ولديهنّ في المنزل ولد في عمر الخامسة، وزوج وثلاثة أولاد في الجامعة. كانت حياتها كفاحاً مستمراً وعالي الوتيرة، من دون أي راحة، من الصباح إلى المساء.

"لا يلاحظ الرجال أبداً مثل هذه الأمور"، قالت فريدا وهي لا تزال تفكر في تشارلي. "قد لا يكون هناك أي شيء. ربما هو قلق فقط مما سيفعله بعد التخرج. إنها مرحلة صعبة بالنسبة إلى

معظم الأولاد. سواء أرادوا ذلك أم لا، عليهم ترك المنزل العائلي والنمو. سوف يشعر بالتحسن ما إن يقرر ما إذا كان سيقبل بالوظيفة في كاليفورنيا، أو العثور على وظيفة هنا، أو الذهاب إلى كلية اللاهوت، أو الذهاب إلى أوكسفورد. إنها كلها خيارات جيدة بالنسبة إليه، لكنه سيشعر ببعض العصبية إلى أن يتخذ قراره". أجمعتا كلتاهما على أنه يبدو مرتبكاً.

"أظن أنك محقة. أذكر كم كنت مذعورة حين تركت الكلية. لم يكن لديّ عائلة للاستناد عليها. كنت مرعوبة، ثم تزوجت تشونسي، وظننت بعدها أني أصبحت في برّ الأمان. لكن لم يكن الأمر مثلما ظننت كما تبيّن لاحقاً".

"كنت صغيرة جداً على الزواج"، قالت فريدا وهي عابسة، رغم أنها كانت هي نفسها أصغر سناً عندما تزوجت والد هاري. لكن الأمور كانت مختلفة حينها، إذ عاشا الحرب، ونجيا من فظائع المخيمات، وعاشا حياة مختلفة. خلال الحرب، ينضج الناس بسرعة، خصوصاً كما في حالتها هي. انتهى شبابها في مخيم للاجئين في داتشاو.

"حصلت على الأقل على ثلاثة أولاد نتيجة ذلك"، قالت أولمبيا بطريقة فلسفية، وابتسمت لها فريدا.

"نعم، هذا صحيح. تشارلي ولد رائع، والفتاتان مذهلتان أيضاً". ثم نظرت إلى كنّتها بتعبير جاد. "تعلمين أني ما زلت مصممة على الذهاب إلى الحفلة. لا أهتم لما ستقولينه، لكني لن أفوّت الحفلة أبداً". شعرت أولمبيا بالأسف لأن هاري لا يشعر بالشيء نفسه. "قال هاري إنه يجدر بي البقاء في المنزل معه. ما

زلت غاضبة منه لعدم ذهابه، لكن هذا شأنه هو إذا أراد أن يكون أحمق بسبب أفكاره العنيدة. أنا ذاهبة. هذا ما قلته له". كان هناك عزم واضح في عينيها.

نظرت إليها أولمبيا وابتسمت. "كنت سأحاول أن أقنعك بعدم الذهاب. لكن أظن أني لم أعد أملك الفرصة لذلك".

"لا"، قالت فريدا وهي تبدو مثل لبوة كبيرة في السن، فيما جلست على الأريكة وساقها في جبيرة.

"لمَ لا أحاول وأستأجر لك كرسياً متحركاً؟" قالت أولمبيا بجدية. "يستطيع تشارلي إحضارها غداً. بهذه الطريقة، لن تضطري للمشي".

"من المحرج الذهاب بهذه الطريقة"، اعترفت المرأة العجوز. "أكره أن أبدو عاجزة. لكن هذا معقول. إذا أحضرت لي واحدة، سوف أذهب. وإذا لم تتمكني، سوف أستعمل العكازين".

"أنت رياضية جيدة"، قالت أولمبيا بإعجاب. "وجدة رائعة". أحبت فريدا الأولاد الكبار لأولمبيا تماماً مثلما أحبت ماكس، وهي لا تفرق أبداً بينهم.

"أنا ذاهبة، حتى لو اضطررت إلى الذهاب بسيارة الإسعاف، ونقلي على حمالة من قبل المسعفين. بالإضافة إلى ذلك، أريد ارتداء فستاني الجديد. لم أذهب أبداً إلى حفلة كهذه، ولن تتاح لي ربما فرصة أخرى مجدداً، ولن أفوّت الحفلة". تلألأت الدموع في عينيها فيما قالت ذلك. كانت هذه أكثر من مجرد حفلة بالنسبة إليها. إنها مسألة قبولها اجتماعياً بطريقة لم تعرفها أبداً من قبل. لقد أمضت سنوات في الفقر، وعملت خياطة في مصنع

كنزات مع زوجها، لإدخال ابنها إلى المدرسة. أرادت أن تشعر، ولو لمرة واحدة قبل أن تموت، أنها مثل سندريلا هي أيضاً، حتى لو ظن ابنها أن هذه فكرة حمقاء. أرادت أن تشاهد حفيدتيها تعلنان ظهورهما للمرة الأولى. فهمت أولمبيا ذلك، ووعدتها بأن تحقق لها ذلك. كان هذا أكثر من مجرد حلم يتحقق للفتاتين فقط. فهو يعني الكثير لفريدا أيضاً. أكثر مما يظن هاري.

"سوف ينجح الأمر، فريدا، أعدك". لكن الشيء الوحيد الذي لم تستطع أولمبيا تصوره هو من سيجرّ الكرسي المتحرك. عليها أن تكون في الفندق في الساعة الخامسة يوم السبت لمساعدة الفتاتين على ارتداء الثياب، ويتوجب على تشارلي أن يكون معهما أيضاً للتمرن على الرقص. ما من أحد لنقلها على الكرسي المتحرك إلى الفندق، باستثناء هاري، الذي يرفض الذهاب. كانت تفكر في طلب المساعدة من مارغريت وزوجها، إذا استأجرت لهم أولمبيا سيارة ليموزين. فهذا السبيل الوحيد لذلك.

سألت أولمبيا هاري عن الحفلة بحذر مجدداً تلك الليلة بعد العشاء، وذكّرته بأنه بسبب إعاقة أمه، ستكون مسألة إيصالها إلى هناك أصعب كثيراً مما كانت قبلاً. إنها تحتاج إلى أحد لمساعدتها، وتأمل في أن يتطوع هو، ولذلك لا حاجة لطلب الأمر منه مباشرة.

"أخبرتها قبلاً بأنه لا يجدر بها الذهاب"، قال وهو يبدو منزعجاً.

"إنها تريد ذلك"، قالت أولمبيا بهدوء، من دون الدخول في الأسباب العديدة التي تعتبرها مهمة بالنسبة إلى فريدا.

"إنها عنيدة"، قال بفظاظة.

"وأنـــت أيضاً". برزت نبرة في صوتها لم تكن موجودة قبلاً. إنه يرفض مساعدتها تماماً، وبدأ الأمر يزعجها فعلاً. أقل ما يمكنه فعله هو إيصال أمه إلى هناك، لأنها تريد ذلك بشدة. "يعني ذلك الكـثير بالنسبة إلى أمك. ربما أكثر مما يبدو بديهياً". بالنسبة إلى تشونـسي، كانت الحفلة لتصنيف المتفاخرين. لكن فريدا عملت بكدّ طوال حياتها، وضحّت بالكثير، ونجت من المجازر، وعاشت تاريخاً طـويلاً وصعباً للوصول إلى هنا. إذا أرادت الذهاب إلى حفلـة التعريف بالفتيات الشابات، لأي سبب كان، رأت أولمبيا أن لديها الحق في ذلك. سوف تبذل كل ما بوسعها لدعم الأمر. بالإضـافة إلى ذلك، كانت التوأمان تعشقان جدتهما وتريدانها أن تكون موجودة. إنها تستحق هذه الليلة المميزة تماماً مثل الفتاتين. إنها ليلتها هي أيضاً. فهمت أولمبيا ذلك. لكن هاري لم يفهم. إنه يرفض ذلك. كانت وجهة نظره السياسية أكثر أهمية بالنسبة إليه مـن أحـلام فتاة شابة أو امرأة عجوز. "أظن أن هذا مهم فعلاً بالنسبة إليها"، قالت أولمبيا برفق.

"لا يفتـرض أن يكون كذلك"، قال بحزم. "وحتى لو كان كـذلك، أنا قاضٍ في محكمة الاستئناف. لا أستطيع دعم حفلة تمييزية عنصرية لمجرد إرضاء أمي، أو زوجتي، أو ابنتيك. تعبت من جعلي أشعر وكأني سخيف في هذه المسألة، أولي. أنا مؤمن تماماً بما أفعله. لا أستطيع أن أكون هناك".

"أنـا واثقة من أنك لن تكون أول يهودي يحل ضيفاً على حفلـة القناطـر. وحـسب مـا عرفته، هناك فتيات يهوديات مشاركات في الحفلة أيضاً".

"أشـك في ذلـك. وحتى لو كان الأمر صحيحاً، ما زلت مـضطراً لأخذ موقف حيال ذلك والالتزام به. لا أظن أن مارتن لوثر كينغ ذهب إلى حفلة أقامتها جمعية كو كلوكس كلان".

"هـل يتوجب عليك أنت وفيرونيكا مقاطعة كل شيء لا تؤمـنان بـه؟ لا أسـتطيع حتى شراء الحاجيات حين تكون في المنـزل، من دون أقلق بشأن من أهين أو أعاقب. فإذا اشتريت العنب، هذه إهانة لسيزار شافيز. وإذا اشتريت بضاعة من جنوب أفـريقيا، فـإني أقلـل من احترام نيلسون مانديلا. اللعنة، كلما ارتديت كنـزة أو انتعلت حذاء، أو تناولت حبة من الفاكهة في مطبخـي، أكـون أهين أحداً. لا شك في أن ذلك يجعل الحياة معقـدة، وفي هـذه الحالة، أظن أن عائلتنا أكثر أهمية من آرائك الـسياسية اللعينة. كل ما تريده أمك الآن هو الذهاب إلى حفلة لمشاهدة حفيدتيها ترقصان على المسرح. أعترف أن هذا تقليد قـديم، لكن هذا كل ما في الأمر. إنها حفلة، ليلة واحدة في حياة الفـتاة تجعلـها تـشعر بأنها مميزة، ألا يمكنك التنازل ولو لليلة واحـدة؟" بدا واضحاً أنها بدأت تغضب شيئاً فشيئاً من موقفه، واكتفى هاري بالنظر إليها وهزّ رأسه. لقد سمعها وعرف أن الأمر مهم لها، ولأمه. لكنه لا يوافقهما الرأي، ولن يغير موقفه.

"لا، لا أستطيع".

"جيد". أجابته فيما الغضب يتطاير من عينيها. "اللعنة عليك إذاً، إذا كانت مبادئك وآراؤك السياسية أكثر أهمية لك منا نحن. أظن أنك لا تفهم المسألة هذه المرة".

"أعـرف أنك تشعرين هكذا"، قال بهدوء، وهو يبدو غير

سعيد البتة. "المبادئ ليست مثل قبعة تضعينها وتخلعينها حسب ما يلائمك. إنها تاج من الأشواك يتوجب عليك وضعه مهما كانت الأسباب".

لم تــتفوه أولمبيا بأية كلمة أخرى، وغادرت الغرفة قبل أن تغضب فعلاً منه، وتقول له شيئاً تندم عليه. عرفت أنه لن يكون هناك تنازل في هذه المسألة. كان هاري عنيداً فعلاً، وخسرت هي المعــركة. وعلــى أية حال، سواء كان ذلك عادلاً أم لا، سوف تتولى هي الموضوع.

الفصل 7

حين عادت الفتاتان من الكلية، كان كل شيء في المنـــزل فوضـــوياً. جـــاءت صديقاتهما وذهبن، ورنّ الهاتف باستمرار. جـــاءت فتيات أخريات يشاركن أيضاً في حفلة القناطر للتحدث إلى جـــيني، والقهقهة، والصراخ، وإلقاء نظرة على فستانها. كل الفتـــيات أجمعن حين رأينه بأنه رائع. بقيت فيرونيكا في غرفتها الخاصـــة مـــع صـــديقاتها، ولم تكن أي منهنّ مشاركة في حفلة القناطر.

تركت فريدا باب غرفة الجلوس مفتوحاً، واستمتعت بمراقبة حـــركة الوصـــول والمغـــادرة. كانت أولمبيا تحضر لها الطعام، ويساعدها تشارلي في انتقائه، وتقدمه إلى فريدا في أطباق منفصلة موضوعة على صوان. حرصت كثيراً على ألا تكون متزمتة جداً كالمعـــتاد. عرفت كم أن الأمر معقد بالنسبة إلى أولمبيا لكي تقلق بشأن هذه المسألة أيضاً. وكانت واثقة من أن الله سيسامحها طالما أنها لم تتناول الصلصات القشدية على اللحم، ولم تتناول الكركند أو القـــريدس. كانت أولمبيا شديدة الانتباه إلى ما تقدمه. ومثلما كان متوقعاً، كان تشارلي بمثابة نعمة بالنسبة إليها. فقد ساعدها قدر المستطاع.

ليلة الخميس، احتفلوا بالشانوكا، وأشعلت أولمبيا الشموع، فيما تلت فريدا الصلوات معها. تبادلوا الهدايا، مثلما سيفعلون كل ليلة طوال ثمانية أيام. كانت أولمبيا سعيدة بوجود فريدا في المنزل معهم. فهذا يجعل العائلة كلها تبدو أقرب إلى بعضها. وجاءت العطلة بمثابة إلهاء معقول عن الحفلة الراقصة، ولو لليلة واحدة على الأقل.

كانت جيني متحمسة لوصول ستيف إلى المدينة ليلة الجمعة، وحافظت فيرونيكا على وعد أمها بأن جيف ملائم تماماً ولن يجعل شعره واقفاً. لكنه لن يصل قبل صباح السبت، الأمر الذي بدا مضغوطاً بالنسبة إلى أولمبيا، لكن عليه فعل شيء في بروفيدانس ليلة الجمعة وقالت فيرونيكا إن هذا أفضل ما يمكنه القيام به. لا جدوى من النقاش معها. وفيما أصبحت الحفلة الراقصة على بعد أيام قليلة فقط، كان مزاجها سيئاً جداً.

تذكرت أولمبيا في وقت متأخر من ليلة الخميس أنها لم تشاهد أبداً حذاء الساتان الأبيض الخاص بفيرونيكا رغم أن هذه الأخيرة وعدتها بامتلاكه. قررت تفحص خزانتها للتأكد من أن الحذاء موجود فعلاً. وإلا، ستضطر إلى شراء زوج لها. فثمة احتمال كبير بأن تفعل فيرونيكا شيئاً مجنوناً، مثل انتعال حذاء رياضي أو حذاء أحمر اللون. دخلت إلى الغرفة فيما خرجت فيرونيكا من الحمام وهي تجفف شعرها بمنشفة وأدارت ظهرها لأمها. وقفت أولمبيا في مكانها وحدقت مذعورة في ابنتها. ثمة وشم عملاق في وسط ظهرها. إنه عبارة عن فراشة كبيرة متعددة الألوان مع جناحين مبسوطين بحجم طبق طعام تقريباً. ومن دون

أن تدرك ما تفعله، صرخت أولمبيا وقفزت فيرونيكا في مكانها واستدارت بسرعة. فهي لم تسمع أمها تدخل إلى الغرفة.

"يا إلهي! ما هذا؟" كانت تعرف تماماً ما هذا. لكنها لم تصدق أن فيرونيكا فعلت هذا بنفسها. كان عملاقاً. انفجرت أولمبيا في البكاء.

"هيا، أمي... أرجوك... أنا آسفة... كنت سأخبرك بشأن ذلك... لطالما أردت فعل ذلك... أحب ذلك... سوف تعتادين عليه...". بدت فيرونيكا مذعورة. فالشيء الوحيد الذي منعتهما أمهما من القيام به هو الوشم أو الثقوب في الجلد. سمحت لهما بثقب أذنيهما، لكن ممنوع فعل ذلك في أي مكان آخر. والوشم ممنوع أيضاً.

"لا أصدق أنك فعلت ذلك!" قالت أولمبيا، وهي تجلس على حافة سرير فيرونيكا. كاد يغمى عليها. لقد تم تدنيس جسد طفلتها. لم تستطع تخيل فيرونيكا تعيش مع هذا الوشم لبقية حياتها. هذا فاحش. أرادتها أن تزيله، لكنها تعلم أنها إذا اقترحت عليها ذلك، فسوف ترفض. "تبدين وكأنك خارجة للتو من السجن".

"الجميع فعل ذلك في الجامعة. أصبح عمري ثمانية عشر عاماً أمي. لديّ الحق في فعل ما أريده في جسمي".

"هل لديك فكرة عن شكل ذلك، أو كيف سيكون حين يصبح عمرك خمسين عاماً؟ هل أنت مجنونة؟" ثم بدت مذعورة بشدة. "هل فعلت جيني الشيء نفسه أيضاً؟" بدت فيرونيكا محرجة فيما جلست على السرير قرب أمها ووضعت ذراعيها حولها.

"أنـــا آسفة أمي. لم أقصد إغضابك. أردت فعل ذلك منذ ســـنوات". عرفت أولمبيا أن هذا صحيح، لكنها ظنت أنها أقنعتها بعكـــس ذلك. لم يخطر لها أبداً أن تتحداها فيرونيكا وتضع وشماً فور ذهابها إلى الجامعة.

"لماذا لم تضعي الوشم على مؤخرتك حيث لا يستطيع أحد رؤيته؟ هل لديك فكرة عن شكله؟"

"أمي، أنا أحبه... بصدق... إنه أنا..."

ثم خطرت لأولمبيا فكرة أخرى. كان فستان فيرونيكا للحفلة الراقـــصة عـــاري الظهر وتصل فتحته إلى خصرها تقريباً. "علينا شراء فستان جديد لك".

"لا، أبـــداً"، قالـــت فيرونيكا بهدوء. "أحب الفستان الذي لديّ". كانت هذه أول مرة تعترف فيها بذلك، لكن لا مجال أبداً أن تـــسمح لهـــا أولمبيا بارتداء هذا الفستان الآن والكشف عن وشمها. تفضل الموت أولاً.

"لـــن أسمـــح لك بالذهاب إلى حفلة القناطر مع هذا الشيء علـــى ظهـــرك". دخلت جيني إلى الغرفة فيما كانت أمها تقول ذلـــك، لتبحث عن قنينة رذاذ الشعر، وشاهدت التعابير البائسة على وجه أمها، ثم نظرت إلى شقيقتها التوأم.

تحدثت فيرونيكا أولاً. "أمي تعرف". بدت جيني غير مرتاحة لكونها علقت بين الاثنتين، وهمّت بمغادرة الغرفة.

"أنـــتِ ابقي هنا. إذا وضعت أي منكما وشماً آخر، سوف أقتلكما أنتما الاثنتان. وينطبق ذلك على تشارلي أيضاً".

"لـــن يفعـــل ذلك أبداً"، طمأنتها فيرونيكا. "لا يجرؤ على إغضابك. وكذلك الأمر بالنسبة إلى جيني".

"ما الذي يجعلك شجاعة إلى هذا الحدّ؟" سألت أولمبيا بيأس، وهـــي تنفخ أنفها في منديل. شعرت وكأن أحداً مات، رغم أن الأمر لا يتعدى مسألة وشم.

"تصوّرت أنك ستسامحينني"، قالت فيرونيكا بابتسامة بريئة، وعانقتها مجدداً، فيما مسحت أمها عينيها.

"لا تكـــوني واثقـــة إلى هذا الحدّ. وعلينا فعل شيء بشأن الفـــستان. دخلـــت إلى هنا لرؤية حذائك". لقد تشاركوا جميعاً مناسبة شانوكا رائعة قبل ساعات قليلة، وهناك الآن هذه المشكلة لإفساد كل شيء بالنسبة إليها.

"لا أســـتطيع العثور على حذائي"، اعترفت فيرونيكا بمرح. "أظن أني أعطيته لأحد".

"رائـــع". لا يعتـــبر ذلك شيئاً مقارنة مع ما فعلته بجسمها. "سأشـــتري لك واحداً غداً". لقد أخذته يوم إجازة، مثلما تفعل كل يوم جمعة. لديها مليون شيء للقيام به. ما زال عليها إحضار كرســـي متحرك لفريدا من متجر اللوازم الطبية. وعليها إحضار فستان فريدا من شقتها، والآن شراء حذاء لفيرونيكا. لكن كل ما استطاعت التفكير به فيما جلست على السرير هو وشم الفراشة.

"كيف يفترض بي العثور على فستان لك في يوم واحد؟"

"سوف أرتدي كنـــزة فوقه"، تطوعت فيرونيكا فيما بدأت أولمبـــيا تبكـــي مجدداً. كان هذا كثيراً بالنسبة إلى أعصابها التالفة أصلاً. حادث فريدا، ومرض ماكس، وعناد هاري، والزكام الذي

عانت منه طوال الأسبوع، والآن رعب الوشم.

"لا يمكـــنك أبداً ارتداء كنـــزة فوق فستان سهرة. أستطيع ربما العثور لك على وشاح من الساتان الأبيض في مكان ما. وإلا، سنكون قد علقنا في ورطة".

"هيا أمي. لن ينـــزعج أحد من ذلك".

"اللعـــنة علـــيهم إذا لم ينـــزعجوا، لكني الآن منـــزعجة. يمكـــنك علـــى الأقـــل إرضائي أنا، بحق الله"، قالت أولمبيا وهي مفطورة القلب وغاضبة في الوقت نفسه.

"أنا أفعل ذلك"، ذكّرتها فيرونيكا. "سوف أشارك في الحفلة، أليس كذلك؟ تعرفين أني لا أريد ذلك؟ لذا، هوّني عليّ".

"أنـــا أفعل. لكني لم أعرف أنك ستفطرين قلبي مقابل لك. هـــل كـــان هـــذا ثأرك لمشاركتك في الحفلة الراقصة؟ الفراشة الحديدية؟"

"لا، أمـــي"، قالـــت فيرونيكا وهي تبدو حزينة. "وضعت الوشم في أول أسبوع لي في الجامعة، كرمز لاستقلاليتي وتحرري. تحولي إلى إنسانة راشدة".

"رائـــع. أظن أني محظوظة لأنك لم تضعي يرقانة على ظهرك أيضاً، لإظهار ما كنت عليه قبلاً ولاحقاً". ثم وقفت ونظرت إلى ابنتـــيها، وغـــادرت الغـــرفة من دون التفوه بأية كلمة أخرى. صادفت هاري على السلالم ولم تتفوه له بأية كلمة. نـــزلت إلى المطـــبخ وحضّرت كوب شاي لنفسها. لاحظ هاري كم كانت منـــزعجة، وظـــن أنها لا تزال غاضبة منه. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، وبدا واضحاً أن أولمبيا منفعلة جداً.

شـــاهدتها فـــريدا وهـــي تمرّ أمام بابها المفتوح ورأسها إلى الأسفل، فلحقت بها بعد دقائق قليلة إلى المطبخ بمساعدة عكازيها. كانت أولمبيا جالسة أمام طاولة المطبخ، تبكي فوق كوب الشاي. كانت تفكر في الفستان العاري الظهر وما يجدر بها فعله. والأكثر من ذلك، كانت تفكر في الجسد الشاب والرائع لفيرونيكا وكيف شوّهته. لن يعود أبداً كما كان قبلاً.

"أوه"، قالت فريدا وهي تنظر إليها. شعرت بأن هناك خطباً ما، ولهذا السبب جاءت إليها. فمن غير عادة أولمبيا ألا تنظر إلى الباب لمعرفة كيف حالها. "ما المشكلة؟" سألت فيما جلست بحذر شـــديد علـــى كرسي مطبخ أمام كنّتها. "أتمنى ألا يكون الأمر خطـــيراً"، قالت فريدا وهي تبدو قلقة. أملت ألا يكون هاري قد أغـــضبها مجدداً. عرفت أنه زاد من ضغوط أولمبيا طوال الأسبوع مـــن خلال رفضه الذهاب إلى الحفلة معها. لم تشاهد كنتها أبداً تبكي، وقد أزعجها ذلك كثيراً. بدت الأمسية رائعة، وقد تعكّر المزاج الآن.

"كـــنت سأمرّ بك وأقول وداعاً قبل الانتحار، لكني فكرت في أن أتناول كوب شاي قبلاً". ابتسمت لحماتها عبر دموعها.

"هـــل الأمـــر بهذا السوء؟ من فعل ذلك بك؟ سوف أقتله لأجلـــك، لكـــن قولي لي فقط من يكون". شعرت مجدداً وكأنها أمهـــا، وأثرّ ذلك كثيراً في أولمبيا، فيما مدّدت جسدها للمس يد فـــريدا عبر الطاولة. كان وشم فيرونيكا فظيعاً بالنسبة إليها. بدا الأمـــر ســـخيفاً، لكنه مدمر بالنسبة إليها. فهذا شيء غبي جداً. والأســـوأ من ذلك أنه دائم. كانت أولمبيا واثقة من أن فيرونيكا

ستندم على ذلك في السنوات اللاحقة، لكن عليها التكيف معه على أية حال. فإزالته أمر معقد جداً، حتى لو أرادت فعل ذلك في يوم من الأيام. "إذا كان هاري من جعلك تبكين بهذه الطريقة، سأقتله"، قالت فريدا بجدية فيما هزّت أولمبيا رأسها.

"فيرونيكا"، قالت ثم نفخت أنفها. لقد أصبح أحمر اللون نتيجة النفخ طوال الأسبوع. لقد ساعدت المضادات الحيوية على الأقل جيني على التعافي. وقد أصبحت أفضل حالاً حين عادت إلى المنزل. بالكاد استطاعت أولمبيا لفظ الكلمة فيما نظرت عبر الطاولة إلى حماتها. "لقد وضعت وشماً".

"وشم؟" بدت فريدا مذهولة. لم يخطر لها الأمر أبداً. فعلى لائحة المآسي المحتملة، كان هذا آخر احتمال في رأيها. "أين؟"

"في وسط ظهرها"، قالت أولمبيا بيأس. "بهذا الحجم". فتحت يديها للإشارة إلى حجم الوشم بدقة.

"أوه، عزيزتي"، قالت فريدا وهي تستوعب المعلومات التي تشاركتها معها أولمبيا. "هذا ليس جيداً. يا له من أمر أحمق. أعرف أن الوشم رائع الآن، لكنها ستندم عليه في يوم من الأيام".

"إنها متحمسة كثيراً له"، قالت أولمبيا بحزن. "عليّ شراء فستان جديد لها غداً. لا تستطيع ارتداء الفستان الذي لديها. عليّ شراء واحد عالي الظهر لها. أو شراء وشاح. لست واثقة من العجيبة التي سأتمكن من إنجازها في يوم واحد". لأكانت لا تزال مريضة.

فكرت فريدا في الأمر لبرهة، وأومأت برأسها. "اشتري لي أربعة ياردات من الساتان الأبيض غداً، من النوع الجيد، وليس

من النوع الاصطناعي الزهيد. سوف أخيط لها وشاحاً. يمكنها ارتداؤه خلال الحفلة على الأقل. بعد ذلك، حسناً... يعود الأمر لك ولها. هل ترتدي وشاحاً؟" بدت فريدا قلقة بقدر أولمبيا، ليس فقط للمدى البعيد، وإنما أيضاً للحفلة الراقصة التي أصبحت بعد يومين فقط.

"سوف ترتدي بذلة مصفحة الآن إذا طلبت منها ذلك"، قالت أولمبيا بهدوء. "لا أعرف متى كانت تخطط لإخباري بذلك، لكني كنت سأصاب بنوبة قلبية لو رأيت الوشم أثناء رقصها على المسرح". هزت أولمبيا رأسها ونظرت إلى حماتها. تبادلت المرأتان ابتسامة عبر الطاولة. "الأولاد. لا شك في أنهم يجعلون الحياة مثيرة، أليس كذلك؟" ضحكت أولمبيا بحزن، وربّتت حماتها على يدها.

"يبقيك ذلك شابة. صدقيني، حين يتوقفون عن مفاجأتنا، ينتهي بك الأمر وأنت تشتاقين إليهم بجنون. لم تعد حياتي أبداً هي نفسها منذ أن ذهب هاري إلى الجامعة وترك المنزل".

"على الأقل لم يضع وشماً".

"لا، لكنه ثمل مع أصدقائه وحاول التطوع في المارينز في عمر السابعة عشر. الحمد لله أنهم رفضوه لأنه عانى من داء الربو طوال حياته. لو أخذوه، لكنت توفيت. كاد والده يموت. حسناً، لنكن واقعيين. عليك أن تحضري غداً أربعة ياردات من الساتان الأبيض، وسوف نحضر لها وشاحاً لتغطية الوشم. هذا أسهل من العثور على فستان جديد، وأستطيع تحضيره خلال ساعات قليلة. لا أحتاج حتى إلى ماكينة الخياطة. أستطيع خياطته يدوياً".

"أحـبك، فـريدا. أقـسم لك أنه كان سيغمى عليّ حين شاهدت ذلك الشيء على ظهرها. كانت خارجة للتو من الدش. أظن أنها كانت تخفي الأمر عني منذ شهور".

"كان يمكن أن يكون أسوأ. جمجمة وعظام، أو اسم شاب لـن تتذكـره في السنة التالية. بالمناسبة، كيف حال قصة حب جيني؟ هل سيأتي الشاب إلى الحفلة؟"

"مساء غد على ما يبدو، وتقول إن العلاقة جيدة. فيرونيكا لا تحبه، ولديها حكم جيد بشأن الرجال، أفضل من جيني. أتمنى أن يكون شاباً لطيفاً. إنها متحمسة جداً ليراها في فستانها".

"هذا رائع فعلاً"، قالت فريدا وهي تبدو حالمة، "ولا تقلقي، سـوف نغطي الوشم. لن يعرف به أحد سوى نحن". من الرائع وجـود حماة تريد حلّ المشاكل وليس تسبيبها. عرفت أولمبيا أن هذا نادر، وقدّرت حماتها كثيراً. شعرت وكأنها أمها هي وليست أم هاري.

أخـبرت أولمبيا هاري عن الوشم حين خلدت إلى السرير، وكـان منـزعجاً بقدرها هي. فتشويه الجسم لا يعارض فقط مـبادئه الجماليـة، وإنما أيضاً دينه. استطاع تخيل شعور أولمبيا. كانت لا تزال منـزعجة بشأن الوشم في صباح اليوم التالي حين خـرجت لـشراء الساتان الأبيض. بعد ذلك، ذهبت إلى محلات مانولـو بلاهنيك لشراء حذاء الساتان الأبيض، وسلّمت القماش إلى فـريدا عـند الظهر. كان القماش بنفس لون ولمعان وسماكة قمـاش الفستان. كان رائعاً. وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر، حين عاد تشارلي وأولمبيا من إحضار الكرسي النقال، كانت فريدا

قـد علّقت الوشاح اليدوي الصنع على علاقة ثياب. لقد انتهت من خياطته، وحين جربته فيرونيكا حين عادت إلى المنـزل، كان بالطـول المناسـب ووعدت بارتدائه في الليلة التالية. لقد حلّت المـشكلة في الحفلـة الراقصة على الأقل. لقد انـزاح عبء عن تفكير أولمبيا، إن لم يكن عن قلبها.

كانت تخطط هي وهاري وأمه لتناول عشاء هادئ في المنـزل تلـك اللـيلة. تبرّع هاري بطهو الطعام. كان ماكس لا يزال في الـسرير، يـشاهد أفلام الفيديو ليلاً ونهاراً. وخرج الأولاد الثلاثة الكبار للسهر. كانت أولمبيا تتطلع لقضاء أمسية هادئة. جرّبت فريدا الكرسي النقال، وقالت إنه مريح وفعال. سوف يجعل حياتها أسهل كـثيراً في الليلة التالية. تركوه مطوياً في القاعة، لكي يتمكن السائق مـن وضـعه في الليموزين. وافقت مارغريت على المرور بالمنـزل وأخذ فريدا معها لأن أولمبيا ستكون في الفندق مع الفتاتين.

استمتعوا بعشاء حميم تلك الليلة في اليوم الثاني من الشانوكا. أشـعلت فريدا الشموع وصلّت. كانت أولمبيا تحب سماعها وهي تفعـل ذلك، وذكّر ذلك هاري بطفولته رغم أنه كان يحب أن تصلي أولمبيا بنفسها أيضاً.

كانوا مستعدين جميعاً للخلود إلى السرير حين سمعت أولمبيا جيني تدخل إلى المنـزل. كانت هناك أصوات في القاعة السفلية، خـارج غـرفة فريدا، ثم صوت ركض على السلالم، وشاهدتها بعدها أولمبيا وهي تمرّ أمام باب غرفتها المفتوح وهي تبكي بشدة.

"أوه". نظرت إلى هاري. "مشكلة جديدة. سأعود". مشت في الممـر متوجهة إلى غرفة جيني ووجدتها مستلقية على سريرها

وهي تبكي بشدة. احتاجت أمها إلى عشر دقائق تقريباً حتى تعرف ما هي المشكلة. لقد وصل ستيف من بروفيدانس تلك الليلة، وذهب لتناول العشاء معها، وأخبرها أنه جاء إلى نيويورك ليقول لها إن العلاقة انتهت بينهما. لقد تخلى عنها ولديه الآن صديقة أخرى. كانت جيني تحتدم غيظاً. فقد كانت مولعة كثيراً به. لكن أولمبيا تساءلت عن السبب الذي جعله يأتي إلى نيويورك لينقل إليها الخبر شخصياً في الليلة التي تسبق حفلتها الكبيرة. ألم يكن باستطاعته نقل الخبر إليها لاحقاً، أو عبر الهاتف؟ بدا الأمر فظاً ومزعجاً بالنسبة إليها، ومدمراً بالنسبة إلى جيني. لم يكن بوسعها قول الكثير لها لتهدئتها.

"أنا آسفة حبيبتي... أنا آسفة جداً... هذا شيء مقرف فعلاً..". ليس من العدل القول لها الآن إنها ستنساه وسيكون هناك ألف رجل في حياتها بعده. بدا الأمر الآن مثل ضربة قاضية وقاسية.

"لن أذهب غداً..."، قالت جيني بصوت خافت داخل الفراش. "لا أستطيع... لم أعد أهتم... لن أشارك في الحفلة... أتمنى لو أني متّ...".

"لا، أبداً. وعليك المشاركة في الحفلة. إنها لحظة مميزة في حياتك. كنت تتطلعين شوقاً إليها. لا يمكنك السماح لذلك الشاب بإفساد الأمر عليك. لا تسمحي له بذلك. أعرف كم أن الأمر فظيع في الوقت الحاضر، لكنك ستشعرين بالتحسن ليلة غد.. صدقاً... أعرف ذلك". كان قلبها ينفطر حزناً. لمَ فعل ذلك بها الآن؟ ألم يكن باستطاعته الانتظار حتى الأحد؟ ألا يملك

ذلك الوغد أي ضمير؟ يبدو أنه لا يفعل. استمرت أولمبيا في التحدث معها لساعة كاملة، وبقيت جيني مصرّة في النهاية على أنها لن تشارك في الحفلة. سوف تبقى الليلة التالية في المنزل مع ماكس وهاري. تستطيع فيرونيكا المشاركة في الحفلة لوحدها. "لن أسمح لك بفعل ذلك"، قالت أولمبيا بحزم. "أعرف كيف تشعرين في الوقت الحاضر. لكنك ستبدين جميلة ليلة غد بين ذراعيّ تشارلي، وسوف تقومين بالانحناءة، وسيغرم بك كل شاب موجود في القاعة. جيني، عليك فعل ذلك".

"لا أستطيع أمي"، قالت وهي تحدّق في السقف، ويبدو وكأن العالم وصل إلى نهايته، فيما استمرت الدموع تنهمر على وجنتيها. عرفت أولمبيا أن الأمر فظيع، لكنها لم تشك أبداً في أن الحياة ستستمر بعد ستيف، ذلك الحقير. أرادت خنقه لأنه سبب الكثير من الألم لطفلتها. وكل ما تستطيع فعله الآن هو المساعدة في لملمة الأجزاء.

كانت الساعة قرابة منتصف الليل تقريباً حين عادت إلى غرفتها. كانت جيني يائسة وإنما هادئة مجدداً. لقد توقفت أخيراً عن البكاء. بدا هاري نائماً. استلقت أولمبيا قربه في السرير، وأغمضت عينيها، ودعت بصمت.. أرجوك يا الله... دع الجميع يبقون هادئين غداً ويتصرفون بعقلانية ليلة غد... لم أعد أستطيع تحمل المزيد من المفاجآت.. أرجوك يا الله، لليلة واحدة فقط... شكراً لك... تصبح على خير... ثم خلدت إلى النوم.

الفصل 8

في اليوم التالي، يوم السبت، يوم الحفلة، كان الطقس بارداً جليدياً ومشمساً ساطعاً. لم يتساقط الثلج، و لم ينهمر المطر، لكن الطقس كان أشد برودة من القطب الشمالي. إلا أنه كان يوماً رائعاً حين استيقظت أولمبيا متعثرة. كل ما أرادت فعله هو إكمال اليوم؛ أي مساعدة الفتاتين في ارتداء الثياب، ومشاهدتهما تنحنيان وتنزلان على السلالم، وتكملان السهرة. لم تطلب الكثير، لكن يبدو هذه الأيام أنه سيكون أمراً عجيباً إذا لم يكسر أحد ساقه، أو يصب بمرض نادر، أو يواجه انهياراً عصبياً. إذا حدث ذلك لأي أحد، تنوي أولمبيا أن تكون هي الأولى.

قرابة الظهر، ستأخذ الفتاتين لتصفيف شعرهما. وقد حجزت موعداً لنفسها في الصالون نفسه عند الساعة الثانية. في الساعة الرابعة، ينتهين جميعاً من تسريح الشعر. حضّرت الفطور للجميع، وأحضرت الفطور لفريدا على صينية، وتمنّت لها فريدا الحظ في تلك الليلة. سألتها إذا كان باستطاعتها فعل أي شيء لمساعدتها، لكن كل شيء على ما يرام حسب علم أولمبيا. ما زالت الفتاتان نائمتين. خرج هاري باكراً للعب السكواش في النادي. كان

مـــاكس يشعر بالتحسن. وأمضى تشارلي الليل مع أصدقائه. في الوقت الحاضر، المنـــزل هادئ.

في الحاديـــة عشرة، استيقظت جيني ونـــزلت مسرعة على السلالم وهي تبدو مذعورة. وجدت أمها في غرفة فريدا، فدخلت إلى الغرفة وقالت: "فقدت قفازاً". يفترض أن يكون أحد القفازين الطويلين الواجب وضعهما هذه الليلة. بدت أمها هادئة.

"لا، لم تفقـــدي شـــيئاً. لقد شاهدتهما البارحة. كانا فوق منضدة التزيين مع حقيبتك".

بدت جيني فجأة منـــزعجة ومذنبة قليلاً. "لقد أخذتهما إلى منـــــزل ديبي الليلة الفائتة لأريها كم هما رائعان، ثم حصل كل شـــيء مـــع ستيف. نسيت أحدهما هناك. قالت إن الكلب مزقه الليلة الفائتة".

"أوه، بحق الله...". حاولت أولمبيا جاهدة ألا تغضب. "متى يفترض بي إحضار زوج آخر؟.. حسناً، حسناً... سوف أذهب الآن، قبل أخذكما إلى مزين الشعر... أتمنى العثور على زوج آخر بمقاســـك". راقبت فريدا بإعجاب كبير كيف عالجت أولمبيا الوضع برباطة جأش. بعد عشر دقائق، كانت أولمبيا ترتدي الجينـــز، وسترة التزلج، والجزمة المبطنة بالفرو، وتخرج مسرعة من المنـــزل. ولحسن الحـــظ عـــادت قبل حلول الظهر وهي تحمل زوجاً من القفازات الضرورية بمقاس جيني. لقد حلّت المشكلة. انتهت الجولة الأولى.

غـــادرن إلى صالون التزيين في الساعة الثانية عشرة إلا خمس دقائـــق، وبعدما أوصلتهما، عادت أولمبيا إلى المنــــزل وأطعمت مـــاكس، وحـــضّرت وجبة لفريدا، ووضعت سندويشاً لهاري

ليتـــناوله حين يعود من لعب السكواش. بعد عشر دقائق، وصل تشارلي إلى المنـــزل وراح يحوم حول أمه. بدا عصبياً وتساءلت ما إذا كـــان قلقاً بشأن السهرة الليلة. طمأنته بأنه سيكون على ما يـــرام. جلست إلى الطاولة لنصف ساعة مع هاري وتحدثا حول مجموعة من الأمور. لم تذكر له مسألة الحفلة. لقد أغلق الموضوع، وسوف يبقى هكذا. صعدت إلى الطابق العلوي لتبديل ملابسها، وتجول تشارلي في غرفة نومها.

"هـــل أنـــت بخير؟" سألته وأومأ هو برأسه، لكنه بدا شارد الـــذهن. "هل من شيء يجول في بالك؟" هزّ رأسه وغادر الغرفة مجـــدداً. بـــدأت تقلق بشأنه، لكنها لا تملك الوقت. ثم اتصلت مارغـــريت. تعـــاني أمها من حرارة مرتفعة بعد خضوعها لعملية استئصال الثدي، وهي ربما مصابة بالتهاب. سوف تأتي مارغريت إلى الحفلـــة تلـــك الليلة، لكنها ستتأخر. عليها البقاء مع أمها في المستـــشفى ومـــساعدتها على تناول العشاء. إنها لا تملك الوقت لاصطحاب فريدا. شعرت بأسف كبير لخذل أولي، لكنها لا تملك أي خـــيار آخر. تشعر أمها بسوء كبير. قالت أولمبيا إنها تتفهم، ووقفـــت تحـــدق في الهاتف لدقيقة، محاولة تصوّر حل للمشكلة. علـــيها أن تكـــون في الفـــندق مع الفتاتين من الساعة الخامسة. ويتوجب على تشارلي أن يكون هناك في الساعة الرابعة، بحيث لم يعـــد هـــناك أحد لمرافقة فريدا في سيارة الليموزين. خطرت لها فكرة، وذهبت لمناقشتها مع هاري.

استمع إليها بعناية، وهو مقتنع بأنها ستحاول إقناعه بالذهاب معهـــا إلى الحفلة في الدقيقة الأخيرة. لكنها تخلّت عن هذا الأمل.

كل ما أرادته منه هو مساعدة أمه على الصعود في سيارة الليموزين، ووضع الكرسي النقال معها، ثم الاتصال بأولمبيا على هاتفها الخليوي لحظة مغادرة فريدا المنزل. سوف تنزل أولمبيا حينها إلى قاعة الاستقبال في الفندق وتنتظر في الشارع لاستقبال فريدا في سيارة الليموزين، ووضعها في الكرسي النقال، ومساعدتها على الصعود إلى الطابق العلوي قبل أن تبدأ الحفلة. جعلت أولمبيا الأمر يبدو سهلاً. لم تذكر لزوجها مسألة مساعدتها فتاتين هستيريتين على ارتداء ثيابهما، ومشاهدتهما أثناء التقاط الصور لهما، ومحاولة تهدئتهما، وارتداء ثيابها بنفسها.

"هل يمكنك فعل ذلك لي؟" سألت أولمبيا بعدما أعلنت خطتها بشأن أمه.

"طبعاً. إنها أمي". لم تعلّق أولمبيا بشأن عدم ذهابه معهم، ولم تطلب منه الانضمام إليها. كل ما أرادته منه هو وضع أمه في سيارة الليموزين والاتصال بها. إنهما يعرفان تماماً أنه باستطاعة أي كان فعل ذلك، وهذا أقل ما يستطيع فعله، مهما كانت آراؤه السياسية. بدا محرجاً قليلاً فيما أكد لزوجته بأنه سيهتم بالأمر.

"رائع. شكراً. إلى اللقاء"، قالت فيما خرجت من المنزل لتصفيف شعرها. كان شعر جيني قد أصبح مصففاً حينها. أما فيرونيكا فكانت تصفف شعرها في الوقت نفسه مع أمها. قامت جيني بتقليم أظافرها فيما صففتا هما شعرهما. وكانت فيرونيكا قد قلّمت أظافرها قبلاً. كان الأمر منسقاً مثل هبوط قوات الحلفاء في النورماندي يوم الحرب.

اتصلت أولمبيا بالمنزل في الساعة الثالثة والنصف لتذكير تشارلي بضرورة مغادرة المنزل والتوجه إلى الفندق، وبأن يصطحب معه معطفه، وسرواله، وقميصه، وربطة العنق البيضاء، والسترة والجوارب والحذاء الجلدي، والقفازين اللذين يجدر به وضعهما. قال إنه سيغادر بعد خمس دقائق. كان مستعداً.

وصلت أولمبيا والفتاتان إلى المنزل في الرابعة والربع، بعد أن صففن شعرهنّ وقلمن أظافرهنّ. كان هاري يلعب الورق مع ماكس، فيما غادر تشارلي المنزل. وكانت فريدا تأخذ قيلولة. وضبن الأغراض، وغادرت الأم مع ابنتيها إلى الفندق في تمام الرابعة والنصف. دخلن إلى الغرفة التي حجزتها أولمبيا لهنّ في الفندق حيث تقام الحفلة. اتصلت أولمبيا حينها بهاري. فبالكاد كانت قد ودعته حين غادرت المنزل، وذكّرته بالوقت الذي يجدر به فيه مساعدة أمه على الصعود إلى سيارة الليموزين، والاتصال بها على هاتفها الخليوي. قال إنه قد فهم، وبدا هادئاً جداً. ووعدها بإيقاظ أمه عند الساعة السادسة، ومساعدتها على ارتداء فستانها. سوف تأتي سيارة الليموزين عند السابعة والربع. سوف يقام عشاء للفتيات، والشباب المرافقين لهنّ، وعائلاتهنّ. أما بقية المدعوين فيصلون في تمام التاسعة. سوف تبدأ التمارين في الساعة الخامسة في القاعة نفسها التي ستقام فيها الحفلة. أوصلت أولمبيا الفتاتين إلى القاعة في الوقت المحدد، أي في الخامسة إلا عشر دقائق.

صودف أن جيف أدامس، الشاب الذي سيراقص فيرونيكا، دخل إلى القاعة وهو يحمل سترته على علاقة ثياب، فيما دخلت

أولمبيا مع الفتاتين إلى مدخل القاعة التي تقام فيها التمارين. أغمضت أولمبيا عينيها، متمنية لو أنها تهلوس. لكنها لم تكن كذلك. فقد كان شعر جيف أدامس أزرق ساطعاً وليس أزرق داكناً أو كحلياً، بحيث يظن الآخرون أنه أسود في قاعة الرقص المظلمة. كان اللون مراوحاً بين الفيروزي والأزرق الياقوتي، ولا مجال لعدم التعرف إلى اللون، مهما كانت الإنارة. بدا مسروراً جداً بنفسه، وفظاً كثيراً حين صافح يد أولمبيا. نظرت إليه فيرونيكا وضحكت. لا تزال جيني تبدو مثل الزومبي بعد مأساة ستيف في الليلة الفائتة. فقد قال لها إنه سيأتي إلى الحفلة رغم أنه قد فضّل عليها فتاة أخرى. والأسوأ من ذلك برأي أولمبيا، أن جيني قالت له إنه يستطيع فعل ذلك. قالت إنها تريد قضاء ليلة أخيرة معه. كان مجرد التفكير في الأمر يجعل أولمبيا تشمئز، لكنها لم تشأ إزعاج جيني أكثر. يفترض به الوصول في تمام التاسعة مع الضيوف الآخرين، لأنه لن يكون رفيقها في الرقص. سوف يجلس إلى طاولة أولمبيا مع بقية الضيوف. أرادت أولمبيا ضربه بشوكة. وأرادت فعل الشيء نفسه مع جيف، فيما هنّأته فيرونيكا على اللون الجديد المذهل لشعره. سلّم معطفه إلى أولمبيا وطلب منها أن تحمله له أثناء التمارين. أرادت قتله.

وقفوا جميعاً للمباشرة في التمارين في أربعة صفوف مستقيمة، في صفين من الفتيات وصفين من الشباب، فيما مشى أعضاء اللجنة المنظمة للحفلة بينهم لمراقبتهم عن كثب. وقفت امرأة عابسة ترتدي سروالاً أسود وسترة شانيل مباشرة أمام جيف، وشرحت له الوضع بعبارات واضحة. بعد الانتهاء من

التمارين، وقبل الساعة التاسعة مساء، عليه إعادة شعره إلى لون طبيعي بشري، مهما كان، سواء كان ذلك لون شعره الأصلي أم لا. وإذا فضل عدم تغيير لون شعره، سوف يتم تأمين شاب آخر لمراقصة فيرونيكا في الحفلة. أوضحت له رئيسة اللجنة المنظمة أن هذا خياره هو. بدا مقهوراً قليلاً، فيما استمرت فيرونيكا في الضحك عليه. بدا وكأنها تجد المسألة كلها ممتعة على نحو هستيري، فيما غضبت أمها منها كثيراً. فبين الوشم الحديث على ظهرها ولون شعر صديقها، بدت وكأنها تدخل مرحلة جديدة من حياتها. لم يعد يكفيها التخلي عن المبادئ التي علمتها إياها أمها، وإنما تريد على ما يبدو توليد صدمة لدى الجميع والتباهي بنفسها. لم تكن أولمبيا مسرورة أبداً.

ذكرت لها الأمر حين عادت الفتاتان إلى الغرفة بعد انتهاء التمارين، لارتداء الثياب.

"فيرونيكا، ليس هذا مسلياً. كل ما فعله هو جعل اللجنة المنظمة للحفلة غاضبة كثيراً منه، ومنك أنت أيضاً".

"هيا أمي. لا تكوني نيّقة كثيراً. إذا توجب علينا فعل شيء سخيف كهذا، علينا التحلي بروح الدعابة حياله".

"لم يكن ذلك مضحكاً"، أصرّت أولمبيا. "كان هذا فظاً ومزعجاً. هل سيصبغ شعره مجدداً؟"

"طبعاً. لقد فعل ذلك فقط ليكون مضحكاً".

"لكنه لم يكن كذلك". بدت أولمبيا غاضبة جداً، ثم بدأت جيني تبكي مجدداً. لقد اتصل بها ستيف للتو على هاتفها الخليوي. لم يعد واثقاً من أنه يستطيع المجيء. رأى أن الأمر سيكون صعباً جداً

بالنسبة إليها. قالت له جيني باكية بين التنهيدة والأخرى إن الأمر سيكون أصعب إذا لم يأتِ. لقد توسلته تقريباً، فيما كانت أولمبيا تصغي إليها، ووافق أخيراً على المجيء. لو كانت أفكار أولمبيا قادرة على قتله، لمات الشرير ستيف على الفور. سيكون بدل ذلك ضيفها على العشاء، ويمزق قلب ابنتها في إحدى أهم الليالي في حياتها.

في تمام الساعة السادسة، ارتدت الفتاتان الفستانين، ووقفت أولمبيا تنظر إليهما فيما الدموع تتلألأ في عينيها. إنها لحظة لا تنسى. كانتا مثل أميرتين أسطوريتين، فيما وشاح فيرونيكا يغطي ظهرها تماماً.

اجتمعتا بالمصوّر في تمام السابعة، فيما بقيت أمهما في الغرفة لارتداء ثيابها. انسلّت جواربها فيما كانت ترتديها، لكنها لحسن الحظ كانت قد أحضرت معها زوجاً احتياطياً. علق السحاب حين كانت ترتدي الفستان، لكنها نجحت في إنقاذه نوعاً ما. توقفت لدقيقة، محاولة الهدوء والتقاط أنفاسها. بدا شعرها جيداً. وضعت الماكياج وبدا لائقاً مع فستانها. كان حذاؤها يؤلم قدميها، لكنها توقعت ذلك. وكانت حقيبة السهرة رائعة. وضعت عقد اللآلئ الذي ورثته عن أمها، وقرطي الأذنين المناسبين له. نظرت في المرآة، وبدا كل شيء جيداً بالنسبة إليها. وضعت أحمر الشفاه، ومن ثم ارتدت الوشاح الكحلي، فيما رنّ هاتفها الخليوي. قال هاري إنه وضع أمه في سيارة الليموزين. كانت الساعة السابعة والربع. وقال إن ماكس يشعر بتحسن.

"سوف أنزل الآن لاستقبال أمك"، قالت أولمبيا وهي تبدو منقطعة النفس.

"كيف الحال؟" سأل وهو يبدو مهتماً. كانت أولمبيا متوترة طبعاً، واستطاع سماع ذلك في صوتها.

"لا أعرف. أظن أني متوترة أكثر من الفتاتين. تبدوان رائعتين. إنهما تلتقطان الصور في الوقت الحاضر. عليّ الانضمام إليهما ما إن تصل أمك. لقد أصبح تشونسي وفيليسيا في الأسفل ربما". لم تكن متحمسة لذلك.

لم تخبر هاري أنها مشتاقة إليه، لأنها لم تشأ أن يشعر بذنب أكبر. لا جدوى من ذلك. لن يوصلها ذلك إلى أي مكان. تخيلت لبرهة أنه في سيارة الليموزين مع حماتها، لكنها استطاعت سماع ماكس يتحدث في الخلفية، وكان واضحاً أن هاري لا يزال في المنزل. ستكون هذه واحدة من خيبات الأمل التي تحدث في الزواج، والتي يجدر بها استيعابها ونسيانها. هناك الكثير من الأمور الأخرى التي أنجزها كما يجب. والأهم من ذلك، أنه كان موجوداً دوماً بقربها، وسيفعل ذلك دوماً. هذا أمر لا يستطيع القيام به، وليس لديها أي خيار سوى القبول به. لا جدوى من إفساد علاقتهما بسبب حفلة لن يحضرها. لا تريد تضخيم المسألة إلى هذه الدرجة. ودّعته بسرعة، وغادرت الغرفة، وأخذت المصعد للنزول إلى الأسفل. كانت تنتظر فريدا على الطريق، وهي ترتعش برداً، حين وصلت سيارة الليموزين. بدت فريدا مثل سيدة كبيرة محترمة في فستانها الأسود الأنيق، وشعرها المربوط في جديلة فرنسية ناعمة صنعتها بنفسها، فيما ساعدها البواب على الجلوس في الكرسي النقال وإدخالها إلى الفندق. واستلمتها أولمبيا من هناك.

وضعتها أولمبيا في المصعد، وأوصلتها إلى الطابق الذي تجري فيه الحفلة، حيث تجتمع عائلات الفتيات لالتقاط الصور بكل فخر. تتلقى الأمهات باقات صغيرة من الغاردينيا لتثبيتها على الفساتين، أو حملها، أو وضعها حول المعصم، فيما تتلقى الفتيات أكاليل من الأزهار البيضاء الصغيرة لوضعها على رؤوسهنّ، وباقات كبيرة لحملها أثناء الوقوف على المسرح. كان المنظر رائعاً جداً عند رؤية خمسين شابة تقريباً، يرتدين جميعاً الأبيض، وأكاليل الزهور على رؤوسهنّ، وباقات الأزهار بين أيديهن. تلألأت الدموع في عيون أولمبيا وفريدا.

"يبدو ذلك جميلاً جداً"، همست لها فريدا وتأثرت أولمبيا كثيراً لمعرفة كم يعني لها ذلك. إنها الجدة في قلب الفتاتين. نظرت بعدها إلى أولمبيا وهزّت رأسها. "أنا آسفة جداً لأن هاري ليس موجوداً هنا معك. إنه عنيد أكثر من والده. قلت له الليلة إني أخجل به"، قالت باستياء، وربّتت أولمبيا على ذراعها.

"لا بأس". ما من شيء آخر تستطيع قوله. لقد أخذ موقفاً، والتزم به، سواء خيّب ذلك آمالها أم لا. ذهلت فريدا بموقف كنّتها حيال ذلك. لم تكن واثقة من أنها تستطيع فعل الشيء نفسه. لقد غضبت من ابنها لأنه خذل أولمبيا. وقبل أن تتفوه بالمزيد، اقترب منهما رجل أشقر طويل مع ربطة عنق بيضاء وسترة بيضاء، ومعه امرأة شقراء طويلة أيضاً. إنهما تشونسي وفيليسيا. عرّفتهما أولمبيا إلى فريدا. قالت فيليسيا مساء الخير بتهذيب لفريدا، فيما تجاهلها تشونسي تماماً أثناء إلقاء التحية على زوجته السابقة. فرغم أنها ارتدت ثيابها بسرعة، ولم تهتم كثيراً

بنفسها، إلاّ أنها بدت مذهلة تلك الليلة. ونظر إليها تشونسي بإعجاب.

"تبدين رائعة، أولمبيا"، قال لها فيما قبّلها على وجنتها. شكرته وصافحت فيليسيا، التي بدت سخيفة في فستان من الساتان الوردي طويل جداً وضيق جداً. ذهلت أولمبيا حين لاحظت أنها تبدو سخيفة جداً. لم تذكر أنها رأتها في مثل هذا المظهر، لكن مضت أعوام عدة على لقائهما الأخير. لم تتحسن مع التقدم في العمر. ولاحظت أن تعليقات الفتاتين بشأنها كانت محقة. بدت حمقاء، وترتدي ثياباً غير ملائمة لعمرها. أما فستان الساتان الكحلي الذي ارتدته أولمبيا فكان أكثر أناقة، وإثارة، ولم يكن ضيقاً جداً. بدت أولمبيا رائعة ومحتشمة. لاحظ تشونسي ذلك على ما يبدو أيضاً. وضع ذراعاً حول كتفيها، وعانقها على "الأيام الخوالي". نظرت إليه أولمبيا ورأت أنه ربما كان ثملاً. كانت فيليسيا في طريقها إلى ذلك أيضاً. لن يكون ذلك ممتعاً أبداً.

"أين الفتاتان؟" سأل وهو يلقي نظرة حوله.

"إنهما تلتقطان الصور مع الشباب. سوف تنضمان إلينا خلال دقائق قليلة". شعرت وكأنها الدليل الموجه على متن سفينة متوجهة إلى الجحيم. لقد أصبح كل شيء في تلك السهرة صعباً، من انفطار قلب جيني إلى الشعر الأزرق لرفيق فيرونيكا، ووشم الفراشة، وأحداث الأسبوع، والكاحل المكسور وجدري الماء، والزكام والأنفلونزا. كان أسبوعاً متوتراً بطريقة مجنونة، ووجدت أولمبيا استحالة في الاسترخاء فيما وقفت هناك مع تشونسي وزوجته. كان الأمر أسهل عليها لو أن هاري كان

موجوداً. لكنها تجرّ أمه بدل ذلك في كرسي نقال. لم تعد تتذكر لحظة الجنون التي جعلتها تفكر في أن هذا الأمر سيكون ممتعاً. كل شـيء هو عكس ذلك لغاية الآن. أملت فقط في ألا تضيع جيني قفازاً آخر.

بعـد ذلـك، شاهدت جيف للمرة الأولى بعد لقائهما بعد الظهر. كان يخرج من القاعة مع فيرونيكا، ولم يعد شعره باللون الأزرق الـياقوتي، وإنمـا باللون الأسود اللامع. ليس لوناً طبيعياً كـثيراً، وتـسهل الملاحظة أنه تم صبغه. بدا مصطنعاً جداً، لكن اللجـنة المـنظمة قررت تجاهله. كانت أولمبيا شاكرة للرحمات الـصغيرة. نظـر إليها جيف بسرعة مع علامة سرور متشامخ، وأرادت صـفعه بقـوة. كان فظاً جداً، رغم كونه شاباً وسيماً. لكـنه من النوع الذي يظن أنه أذكى من الجميع، ولا سيما أهل الأشـخاص الآخرين. لم تكف عن التساؤل حول ما إذا كانت فيرونـيكا قد دعته لمجرد إغضابها. لقد فعلت كل شيء ممكن منذ أن أجـبرها تشونـسي وأمها على المشاركة في الحفلة الراقصة. سوف تشارك فيرونيكا في الحفلة، لكن لن يجبرها أحد على أخذ الأمـر علـى محمل الجد أو الاستمتاع به. وكانت جيني لا تزال تبدو غاضبة حين قبّلت الفتاتان والدهما وألقتا التحية على فيليسيا الـتي قالـت للفـتاتين إنهما تبدوان جميلتين، وبكت فريدا حين عانقتهما.

بعـد الـتقاط الصور العائلية، توجهت الفتيات مع الشباب وعـائلات الفتـيات إلى طابق آخر لتناول العشاء. كانت أولمبيا جالسة بين فيرونيكا وفريدا. جلس تشونسي وفيليسيا قرب جيني.

بـدا كل شيء يسير على ما يرام، إلى أن نهض تشونسي للذهاب إلى حمـام الرجال، في منتصف العشاء تقريباً. كانت فيرونيكا قد وضـعت الوشاح على الكرسي. فمن الصعب السيطرة عليه أثناء العـشاء، خصوصاً أنه من الساتان الزلق. وكانت قد نسيت هي وأمها لبرهة سبب ارتدائه أساساً. توقف تشونسي مباشرة خلف الكرسـي وبدا وكأنه قد تلقى رصاصة للتو. التفت مباشرة إلى زوجته السابقة وحدّق فيها غير مصدق.

"هل جننت؟" لم يكن لديها فكرة عن السبب الذي أغضبه، سوى أنها لاحظت أنه يشرب كثيراً. بدت فيليسيا متفاجئة مثلها، ثم رأته أولمبيا ينظر إلى التحفة الفنية على ظهر ابنته. "هل أصابكما الجـنون؟ كـيف سمحت بحصول ذلك؟" كان ينظر مباشرة إلى أولمبيا من فوق رأس ابنته.

"في الواقع، تشونسي"، قالت وهي تبدو منـزعجة وإنما غير مبالـية، "لقد خرجت من زنـزانتها وهربت، رغم القيود. تماماً مثل هوديني".

"أنت لا تمزحين. هذا أقرف شيء شاهدته في حياتي. عليها إزالته بعملية جراحية وإلا لن أدفع القسط". بدا لهنّ جميعاً أن دفع القـسط أو عـدم دفعه أصبح الشكل الوحيد للابتزاز والسيطرة عليها، وشعاره الوحيد في الآونة الأخيرة.

"لا أظن أن المكان مناسب لمناقشة هذا"، قالت أولمبيا بنظرة ملطّفة. كان جميع الجالسين على المائدة يراقبون، من دون أن يرى أحـد مـا يتكلم هو عنه، لأن الآخرين كانوا في وجه فيرونيكا. التفتت إليه بغضب واضح.

"توقف عن تهديد أمي. أصبح عمري ثمانية عشر عاماً، وأردت فعل ذلك. لم تعرف به إلا هذا الأسبوع".

"فيرونيكا، أصبحت خارج السيطرة"، قال بصوت مدوٍ، بحيث استطاع جميع من في الغرفة سماعه. "إذا كنت ستشوهين نفسك بهذه الطريقة، فأنت تنتمين إذاً إلى السجن مع أشخاص أمثالك". شعرت أولمبيا لبرهة بالذعر لأن فيرونيكا طلبت من والدها الذهاب إلى الجحيم وسببت مشكلة أكبر من تلك الموجودة. أصبح الجميع منتبهاً إلى ما يحصل. لم يكن لطيفاً، وبفضل الكحول التي استهلكها، أصبح صوته عالياً. حتى فيليسيا بدت متفاجئة بالضجة التي يحدثها.

"لن أناقش هذا معك، أبي. لماذا لا تكبر؟" قالت فيرونيكا وهي تقف وتنظر مباشرة في عينيه. "إنه وشم وليس جريمة. لمَ لا تشرب كأساً أخرى؟ أنا واثقة بأنك ستشعر حينها بتحسن"، قالت بنبرة جليدية، ثم خرجت من الغرفة. شاهدها جيف وهي تغادر، فلحق بها. وفيما اختفت، شاهد جميع من على المائدة الوشم الذي عارضه تشونسي بصوت عالٍ. التفتت فيليسيا لإلقاء نظرة ولهثت. أكدت لجميع الموجودين على المائدة أن أياً من بناتها لا تفكر في فعل مثل هذا الشيء، واعترفت بأن ابنتها الكبيرة عمرها ثلاثة عشر عاماً فقط. عرفت أولمبيا أن الكثير من الأمور ستتغير في حياة فيليسيا خلال السنوات الخمس المقبلة. فرغم أفضل الجهود الكبيرة، يصبح من الصعب السيطرة على الأولاد.

لم تحب أولمبيا الأمر أيضاً، لكنها تفاجأت كثيراً حين عالجت فيرونيكا المسألة بوقار ولياقة، أفضل كثيراً من والدها. ألقى تشارلي نظرة خاطفة على أمه، وبعد برهة، عاد الحديث إلى

طبيعته. بعد انتهاء العشاء، جاءت إحدى الأمهات للتحدث إلى أولمبيا، مع نظرة تعاطف.

"أعرف ما هو شعورك. عادت ابنتي البالغة من العمر تسعة عشر عاماً إلى المنزل من جامعة سانتا كروز والوشوم على ذراعيها. إنها أسوأ شيء رأيته في حياتي، لكن لا يسعني فعل أي شيء حيال ذلك. لا أريد التفكير حتى في ما سيكون عليه شكل الوشوم حين تبدأ ذراعاها بالترهل. ثمة أمور أسوأ قد يفعلها الأولاد". لم تكن أولمبيا واثقة من هذه الأمور، لكنها عرفت من أنها ستكتشف واحداً إذا فكرت في المسألة. وشعرت بالامتنان لتعاطف الأم الأخرى معها.

"ما زلت مصدومة. لقد شاهدته لأول مرة قبل يومين فقط. وحضرت لي حماتي وشاحاً ليغطي فستانها لهذه الليلة. لم أكن واثقة من أن اللجنة المنظمة ستقبل بالتحفة الفنية".

"أنا واثقة من أنها ليست أول فتاة تشارك في الحفلة مع وشم على جسمها. فقد جاء صديق ابنتي الكبيرة مع خاتم في أنفه".

"وجاء صديق إحدى الفتاتين اليوم مع شعر أزرق"، اعترفت أولمبيا، وضحكت المرأتان على سخافات الشباب.

"كانت الأمور مختلفة كثيراً في أيامنا نحن. كانت جدتي تصاب بالصدمة حين أرتدي فستاناً من دون أكمام. أظن أنه في أيامها هي كان يتوجب على الجميع ارتداء أكمام طويلة لتغطية الذراعين. هذه هي حال الأمور هذه الأيام".

"أظن أنك محقة"، قالت أولمبيا بعد أن هدأت أخيراً. لاحظت أن تشونسي كان لا يزال غاضباً حين عاد إلى مقعده. حدّق في

زوجته السابقة، فيما راقبته فريدا وهي عابسة بقلق.

"هذا أسوأ شيء رأيته في حياتي"، قال تشونسي بهدوء أكبر هذه المرة. عرفت فيليسيا حينها عما يتكلم.

"لم أحب الأمر أنا أيضاً"، قالت أولمبيا لتشونسي بهدوء بعدما جلس. "لقد فعلت ذلك حين كانت في الجامعة. اكتشفت الأمر هذا الأسبوع".

"أنت متساهلة جداً مع هذه الفتاة، أو بالأحرى معهم جميعاً. سوف تنتهي في السجن لكونها الشيوعية الأولى في هذه الأيام"، قال لها فيما طلب كأساً أخرى.

"لا يضعون الشيوعيين في السجن، تشونسي. إنها ليبرالية، لكنها لم تجنّ تماماً. تريد أن تثبت فقط أن لديها أفكارها الخاصة".

"ليست هذه الطريقة لفعل ذلك"، قال وهو ينظر بغضب وعدم رضى. لقد صدمه وشم فيرونيكا في الصميم.

"لا، غير صحيح. أكره قول ذلك، لكني أفترض أنه غير مؤذٍ. مقرف، وإنما غير مؤذٍ". كانت أولمبيا تكيّف نفسها مع أمر تعرف أنها لا تستطيع فعل أي شيء حياله.

"لقد شوّهت نفسها لبقية حياتها". بدا متألماً، وكان واضحاً أنه يلوم أولمبيا لأنها سمحت بحصول ذلك. لم تفعل، لكنه لامها على أية حال. لطالما فعل ذلك، وسيستمر هكذا دوماً.

"لم تتشوه"، دافعت عنها أمها. "لا تزال فتاة رائعة. هذا شيء أحمق. وإذا نفرت منه لاحقاً، وآمل أن تفعل ذلك، يمكن إزالته".

"يجب إجبارها على ذلك"، قال وهو يبدو متفائلاً فيما أنهى كأسه.

"لا تشونسي. لن نجبرها. سوف تضع وشماً آخر حينها. امنحها الوقت". هزّ رأسه وقال شيئاً بصوت خافت لزوجته، ثم بدا وكأنه لاحظ وجود فريدا للمرة الأولى، وقرر صبّ غضبه عليها.

"أفترض أن هناك وشماً على جسد ابنك أيضاً"، قال لها بنبرة اتهامية. يجب إلقاء اللوم على أحد. في هذه الحالة، إنها غلطة أولمبيا وهاري. ابتسمت له فريدا، وهي تبدو مسرورة جداً. كان يسهل فهمه. لقد تعاطت مع هذا النوع من الاتهامات المسبقة طوال سنوات.

"لا، أبداً. فاليهود لا يقبلون بالوشم. إنه مناقض لديانتنا".

"أوه"، قال، وهو لا يعرف كيف يجيب. قال بعدها شيئاً لفيليسيا، ونهضا معاً. لقد انتهت الوجبة، وحان الوقت للصعود إلى الطابق العلوي والانضمام إلى ضيوفهم في قاعة الرقص. سوف تقف الفتيات في صف استقبال لإلقاء التحية على الضيوف أثناء دخولهم، فيما ينتظرهن الشباب خلف الكواليس. كانت الساعة قرابة التاسعة مساء.

الفصل 9

جـرّت أولمبيا كرسي فريدا في اتجاه المصعد بعدما غادرت الفتاتان. حين شاهدتها آخر مرة، كانت فيرونيكا تضع الوشاح بطريقة مرتبة فوق كتفيها، وشعرت أولمبيا بالامتنان مرة جديدة لأن فريدا حضرته لها. لن يشاهد كل الحضور على الأقل الوشم الذي على ظهرها. لقد شاهده قسم كافٍ منهم أثناء العشاء، وسبّب ذلك فوضى كبيرة.

"أنا آسفة بشأن تشونسي"، اعتذرت أولمبيا منها، فيما دفعتها إلى المصعد على كرسيها النقال.

"ليست غلطتك. أتفاجأ دوماً لرؤية أشخاص مثله. لا يزال يفاجئني هذا النوع من الأحكام المسبقة. لا بد أنه يعيش في عالم معزول".

"هو كذلك"، طمأنتها أولمبيا، وهي شاكرة لأنها لم تعد متزوجة منه. مهما كانت أخطاء هاري، يبقى على الأقل رجلاً ذكياً ولطيفاً ومحترماً.

حين وصلتا إلى قاعة الرقص مجدداً، استعرضتا صف الاستقبال. بدا الأمر وكأنه دهر، وجلست فريدا وابتسمت للفتاتين حين أصبحت أمامهما. لقد صافحت هي وأولمبيا خمسين

يداً مغلقة بالقفازات. كانت هناك بعض الفتيات الجميلات في المجموعة، ولكن لسن جميلات، برأي أولمبيا، مثل التوأمين. كانتا رائعتين بفستانين مختلفين وإنما مذهلين بالقدر نفسه.

كانت فريدا لا تزال تبتسم بفخر وسرور حين وجدتا طاولتهما. وضعتها أولمبيا أمام الطاولة وجلست قربها. كان ستيف صديق جيني يجلس قبلهما. وقف بتهذيب وعرّف عن نفسه وهو يبدو محرجاً قليلاً، ثم جلس مجدداً. كانت أولمبيا باردة معه ومنزعجة جداً منه. وصل الثنائي الآخر الذي دعته بعد فترة وجيزة. عرّفتهما إلى فريدا، ثم ظهرت مارغريت واشنطن وزوجها بعد برهة. لقد تركت أمها في المستشفى بين أيد أمينة. كانت ترتدي فستاناً بنياً مذهلاً، بلون بشرتها تقريباً. رأتْ فريدا أنها تبدو مثل لينا هورن. أصبحت المجموعة متجانسة فيما جلس الجميع يتحدث عن جمال الفتيات في صف الاستقبال.

بعد خمس دقائق، وصل تشونسي وفيليسيا. لاحظت أولمبيا أن تشونسي بدأ يكشف عن تأثيرات الشراب الذي تناوله خلال العشاء. الأمر الذي أزعج أولمبيا كثيراً هو أنه حدق في مارغريت وزوجها غير مصدّق وكأنه لم يشاهد أحداً من الأميركيين ذوي الأصول الأفريقية قبلاً. أو حتماً ليس هنا. لم يتفوه بأية كلمة، ونظر إلى أولمبيا بمرارة، ثم جلس. لقد فعلت ما لا يمكن التفكير به. لم تكتفِ بإحضار امرأة يهودية معها إلى الحفلة، وإنما دعت أيضاً زوجين من الأميركيين ذوي الأصول الأفريقية. بدا تشونسي وكأنه سيصاب بأزمة قلبية. ولإضافة الإهانة إلى الإهانة، وضعت ابنته وشماً. بدأت أولمبيا تضحك حين لاحظت شكل وجهه.

التقت عينا مارغريت بعينيها، وفهمت السبب الذي تضحك لأجله، فبدأت تضحك هي أيضاً. كانت فريدا تبتسم بسعادة، مدركة تماماً لما يجري. كانت تحب مراقبة الأشخاص، ومشاهدة المجوهرات وفساتين السهرة، والفتيات الشابات الأنيقات. رأت فريدا أن الحفلة الراقصة أشبه بقصة خرافية. وكان شكل وجهها يستحق عناء كل الليلة بالنسبة إلى كنتها. فمهما كان رأي تشونسي، عرفت أنها فعلت الشيء الصحيح. تستحق فريدا أن تكون موجودة هنا، تماماً مثل أي شخص آخر في الغرفة. لقد انتهت الأيام في عالم تشونسي وقيمه وحياته. في النهاية، ما فعلته أولمبيا كان أقوى كثيراً من موقف هاري برفضه الحضور. لقد فعل ما يريده أشخاص مثل تشونسي، وبقي في المنزل. أما أولمبيا فقد أحضرت العالم الحقيقي معها إلى الحفلة، فكان هناك ناجية من المحرقة ومحامية سوداء لامعة ترعرعت في هارلم. وهل من طريقة أفضل لإثبات الموقف؟ ما من طريقة أفضل برأيها.

فيما كانت تفكر في الأمر، ذهلت لرؤية تشارلي يمشي في اتجاهها عبر القاعة، وتساءلت ما إذا كان هناك خطب ما. كان الجميع جالساً على الطاولات حينها، وذهبت الفتيات إلى الكواليس استعداداً للحفلة. لقد وضعت اللمسات الأخيرة، وكان الشعر مصففاً كما يجب، وأحمر الشفاه مبسوطاً على الشفاه. بدأت الفرقة الموسيقية بعزف الموسيقى، وكان أهل الفتيات وأصدقاؤهم يرقصون. هناك عشرون دقيقة إضافية للاستمتاع بها قبل أن يبدأ العرض. مشى تشارلي بخطى واثقة عبر الغرفة وفاتحاً أمه بدعوتها إلى الرقص. ابتسمت له، متأثرة بالطلب. عرفت أنه

فعل ذلك لأن هاري ليس هنا. وعرف هو كم كان صعباً عليها قضاء أمسية واحدة مع والده. لقد كان فظاً معها بشأن الوشم وفظاً مع الضيوف. ولسبب غريب، لم يقم تشونسي وفيليسيا بدعوة أي كان من قبلهما. رافق تشارلي أمه إلى حلبة الرقص وبدأ رقصة الفوكستروت معها بين بقية الأهل.

"هل قلت لك مؤخراً كم أنا فخورة بك؟" نظرت إلى ابنها البكر بابتسامة سعيدة، فيما راقبتهما فريدا بسرور. كانت أولمبيا امرأة جميلة، وكان ابنها شاباً وسيماً ورقيق الفؤاد. كان في الثامنة فقط حين تزوجت أولمبيا من هاري، وراقبته فريدا وهو ينمو ويتحول من ولد إلى رجل. كانت فخورة به هي أيضاً، تماماً مثل أمه. إنه ولد جيد.

"أحبك، أمي"، قال تشارلي بهدوء، ولاحظت الطيف نفسه في عينيه مجدداً، كما لو أن هناك سؤالاً فيهما. إلا أنها لم تستطع تصور السؤال، أو الجواب، رغم جهودها الكثيرة.

"أنا أحبك أيضاً تشارلي. أكثر مما تعرف. تبدو الفتاتان جميلتين الليلة، أليس كذلك؟" أومأ برأسه، واستمرت في الثرثرة معه أثناء رقصهما. لقد مضت أعوام عدة منذ أن رقصت معه. فأذهلها أن تدرك كم يشبه تشارلي والده في العمر نفسه، وإنما كان هو شخصاً أفضل. "هناك الكثير من الفتيات الجميلات الليلة. ربما تعثر على فتاة أحلامك"، قالت له ممازحة. إلا أنها في الحقيقة لن تكون سعيدة إذا فعل ذلك. أرادته أن يعثر على فتاة من عالم أكثر أهمية من هذا العالم. هؤلاء الفتيات جيدات لليلة واحدة فقط، لكن في بعض النواحي ثمة غرابة فيهنّ، وتذكار من

الماضي، مثل والد تشارلي. أرادته أن يعثر على فتاة لها آفاق أوسع من هؤلاء، على امرأة ليست قيمها ضيقة إلى هذا الحدّ. وفيما كانت تفكر في الأمر، نظر إليها تشارلي مع ابتسامة هادئة.

"أعرف أنه مكان مجنون لفعل ذلك أمي، وأعرف أنه ليس الوقت الملائم ربما. لكني أردت إخبارك بشيء منذ فترة".

"إذا قلت لي إن هناك وشم جمجمة وعظام على صدرك، سأضربك". ضحك وهزّ رأسه، وأصبحت عيناه جادتين مجدداً.

"لا، أمي. أنا إنسان غير طبيعي". لم يخطئ في أية خطوة فيما تابع الرقص معها، ونظرت هي إليه بعينين مليئتين بحب أكثر مما كان يجرؤ على التمني بعد إخبارها بالأمر. لم تخذله. وبالنسبة إليها، فإن السؤال الذي شاهدته في عينيه منذ مدة طويلة أصبح أخيراً مع جواب. لم تقل أي شيء لوقت طويل، ثم انحنت صوبه وقبّلته.

"أحبك، تشارلي. شكراً على إخباري". كانت ثقته بها أكبر هدية يمكن أن يقدمها لها، تماماً مثلما كان قبولها المسالم لما أخبرها به أكبر هدية يمكن أن تقدمها هي له. "أظن أنه حين أفكر في الأمر، لا أتفاجأ كثيراً. أنا متفاجئة، ولكني لست كذلك. هل هذا ما حصل مع الشاب الذي قتل نفسه العام الماضي؟ هل كنت على علاقة به؟" لقد شكّت في هذه المسألة ربما في أعماق قلبها، لكنها لم تكن متأكدة. لقد أخبرها قلبها ربما أن تشارلي مختلف قبل وقت طويل من أن يفهم عقلها ذلك.

"لا". هزّ رأسه. "كنا مجرد صديقين. عاد إلى المنزل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع وأخبر أهله أنه مثلي أيضاً، وقال له والده إنه لا يريد أبداً رؤيته مجدداً. فقتل نفسه حين عاد".

"يا له من أمر فظيع يفعله والد مثل هذا". ألقت نظرة خاطفة على تشونسي من فوق كتفه فيما تابعا الرقص. لن يكون سهلاً على تشارلي أن ينقل إليه هذا الخبر. عرف كلاهما أن تشونسي لديه ملايين الأفكار المتحيزة حول مجموعة منوعة من المواضيع.

"أظن أني كنت خائفاً من أن يحصل معي مثل هذا الشيء. ليس قتل نفسي. لكني كنت خائفاً من رأيكما حين أخبركما أنت وأبي. أظن أني كنت أعرف أنك ستتقبلين، لكن لا يمكنك التأكد أبداً. ولا أستطيع تصوّر والدي وهو يتقبّل الأمر جيداً".

"ربما لن يفعل. عليه النضوج بعض الشيء. ربما أستطيع المساعدة. لكني لا أظن أنه يجدر بك محاولة إخباره الليلة"، قالت بحذر، وضحك تشارلي. كان تشونسي مملاً بوضوح، كما هي حاله دوماً.

"لم أكن أنوي إخباره الليلة. أردت إخبارك أنت وهاري منذ أشهر عدة. هل تظنين أنه سيتفهم؟" سأل تشارلي وهو ينظر بقلق. فرأي هاري مهم كثيراً بالنسبة إليه. إنه يكنّ احتراماً كبيراً لهذا الرجل رغم أنه ليس موجوداً هنا الليلة. إن عدم حضوره هو قرارٌ رأى هاري أنه يجدر به فعله. وقد سامحوه جميعاً على ذلك، حتى زوجته.

"أظن أن هاري سيتقبل. في الواقع، أنا واثقة من ذلك. أخبره متى تشاء".

"سأفعل. شكراً أمي"، قال لها وهو ينظر إليها. بدا أكثر سعادة مما رأته طوال أشهر. وفيما كانت تنظر إليه، وصلت

الرقصة إلى نهايتها. "أنتِ أفضل أم يمكن الحصول عليها. والآن هل أستطيع إخبارك بشأن الوشم الذي على ظهري؟" ضحك لها، وبدا مثل ولد صغير مجدداً. لكنهما عرفا تلك الليلة أنه أصبح رجلاً. لقد قام بالخطوة المروّعة للانتقال من الطفولة إلى سن الرشد. الليلة هي أيضاً طقس تحول بالنسبة إليه، وطقس مذهل. وبفضلها هي، هبط سالماً على رجليه، وكانت الأرض التي تحته صلبة ومتينة، أياً كانت تفضيلاته الجنسية. إنها تحبه في كل الأحوال. هذا واضح. إنه يملك حبها واحترامها غير المشروطين.

"لا تجرؤ أبداً على القول لي إنك تملك وشماً، تشارلي والكر. قد أخنقك على ذلك!"

"لا تقلقي أمي، لا أملك وشماً". عليه الذهاب إلى الكواليس الآن للانضمام إلى الآخرين، لكنه عرف أنه عليه إخبارها قبل أن يفعل ذلك. لم يعرف لماذا، لكنه عرف أنه عليه إخبارها الليلة. أراد فعل ذلك. بطريقة مختلفة عن أختيه، لقد تحرر هو أيضاً.

التفتت لتنظر إليه مجدداً قبل أن يعيدها إلى الطاولة، وقالت له ما يريد سماعه وما يحتاج إليه منها. "أنا فخورة بك". قبّل وجنتها وأعادها إلى الطاولة. هناك، كان هاري واقفاً بهدوء قرب كرسيها، يرتدي ربطة العنق البيضاء والسروال الأبيض، يراقبها. بدا وكأنه خطط منذ زمن ليكون هنا معها. كانت فريدا تنظر إليه وهي تبتسم ابتسامة عريضة وبفخر كبير. ليست هذه ليلة للفتيات فقط، وإنما ليلة للأبناء أيضاً.

"ماذا تفعل هنا؟" سألته بنعومة، وهي تبتسم له، فيما تركهما تشارلي. لقد تأثرت كثيراً لوجوده هنا. فحضوره، رغم مبادئه

واعتراضاته، هو بمثابة هدية لن تنساها أبداً، تماماً مثلما هي ثقة ابنها فيها. إنها ليلة لا تنسى فعلاً.

"قررت الأخذ باقتراحك، واقتراح أمي، ومراجعة نفسي. ظننت أن الليلة وقت مناسب لفعل ذلك". بدا الجميع وكأنه يتحول هذه الليلة، وحصل الشيء معها هي أيضاً. فقد أدركت أنها تحبه، سواء جاء إلى الحفلة أم لا. لقد توقفت عن الأمل منذ أن أخبرها عن عدم اقتناعه الكبير بالمسألة.

"هل لدينا الوقت لنرقص؟" سألها برفق، وأومأت هي برأسها. إنها الرقصة الأخيرة قبل الاستعراض. لقد حدد موعد وصوله بطريقة مثالية.

"أحبك هاري"، قالت بسعادة، وهي ترقص الفالس ببطء بين ذراعيه.

"أحبك أنا أيضاً. أنا آسف لأني سببت لك الألم في هذه المسألة. أظن أنه توجب عليّ المجيء لأجلي أنا". ثم ضحك. "قالت لي أمي الليلة حين غادرت المنزل إنها تخجل مني. قالت إني الشخص الأكثر تحيزاً الذي عرفته في حياتها. حتى ماكس قال إنه من الغباء ألا آتي إلى هنا. أعرف أن هذا صحيح. لكن الشخص الوحيد الذي أهتم له هنا هو أنت، والأولاد طبعاً. لكني أردت أن أكون هنا معك. أنا آسف لأني تركتك تأتين وحيدة إلى هنا. بالمناسبة، كيف كان العشاء؟"

"مثير. أصيب تشونسي بنوبة غضب بسبب وشم فيرونيكا. لا ألومه، لكنه تخطى المسموح كعادته".

"هل قالت له أن يذهب إلى الجحيم؟" سأل ممازحاً. لقد

فوّت بلا شك الألعاب النارية في العشاء، لكنه وصل في أفضل وقت، الوقت المهم فعلاً بالنسبة إليها. تقديم الفتاتين أمام المجتمع، أياً كان نوع الطقوس.

"اللافت أنها لم تفعل"، قالت مجيبة على سؤاله بشأن ما قالته فيرونيكا لوالدها. "طلبت منه أن ينضج. ليست هذه فكرة سيئة. كما أن الاقتصاد في الشرب ليس فكرة سيئة. لا يزال يشرب كثيراً". لديها الكثير من الأشياء لتقولها له حين يعودان إلى المنزل تلك الليلة، ولا سيما اعتراف تشارلي لها. هذا هو الأهم برأيها. لكنها لم تشأ إخباره هنا. كانت لا تزال مذهولة قليلاً بما أخبرها به ابنها، وإنما متأثرة بالثقة التي وضعها فيها أخيراً. بدا وكأن حملاً من ألف باوند أزيح عن كتفيه منذ لحظة اعترافه لها. ما زال عليها أولاً استيعاب الأمر بنفسها. لكن في النهاية، لا مشكلة لديها أبداً في أي شيء يكونه أو يريده أو يحتاجه، أو يجعله سعيداً. وعرفت أن الأمر هو نفسه بالنسبة إلى هاري أيضاً. أما تشونسي فهو قصة أخرى. رأت أنه يحتاج إلى وقت أطول للاستيعاب. ثم ضحكت فيما استمرت في إخبار هاري ما فاته. "ظننت أن تشونسي كان سيصاب بنوبة قلبية حين دخل آل واشنطن". ضحك هاري حين سمع ذلك.

"أنتِ تعرفين حتماً كيفية التعبير عن رأيك أفضل مني أنا. ومهما كانت قواعدهم، لا شك في أنك كسرتها كلها بالأشخاص الموجودين على طاولتك مع أكبر متفاخر في نيوبورت. هذه طريقة لخلط الأمور وجرّ أولئك الأشخاص إلى العالم الحقيقي. كيف حال أمي؟"

"أظـــن أنها تستمتع". ابتسمت لزوجها، مع نظرة سرور واضحة. "شكراً على مجيئك هاري. أنا مسرورة جداً لأنك هنا". لاحظ كم عنى الأمر بالنسبة إليها وكان مسروراً. لقد فعل الشيء الصحيح في النهاية وعرف ذلك.

"وأنـــا أيـــضاً. متى يبدأ العرض؟" أجاب قرع الطبول على ســـؤاله عند انتهاء رقصة الفالس، فيما طلبت الفرقة الموسيقية من الجميع الجلوس على مقاعدهم.

لحـــق هاري بزوجته وجلس قربها وقرب أمه الجالسة على كرســـيها النقال. وبعد برهة، أصبحت الغرفة مظلمة، وارتفعت الـــستارة، وسلّط الضوء على قوس من الأزهار. ظهر صف من الطلاب في ويست بوينت، فرفعوا سيوفهم وجعلوها تتشابك مع بعضها. سوف تمرّ الفتيات تحت هذه السيوف، تماماً مثلما فعلت أولمبـــيا قـــبل سبعة وعشرين عاماً. اتسعت عينا فريدا كثيراً فيما كانت تشاهد العرض، وبعد برهة، ظهرت أول فتاة. سوف تظهر الفتـــيات وفـــق الترتيب الأبجدي، وعرفت أولمبيا أنه نظراً لكون شـــهرة الفـــتاتين والكـــر، سوف تظهران في النهاية. هناك ثماني وأربعون فتاة قبل وصول فيرجينيا وفيرونيكا.

ظهـــرت الفتـــيات على المسرح ببطء، وبدت العصبية على بعضهن، فيما الثقة على البعض الآخر. ابتسمت بعضهن ابتسامة عريضة، فيما لم تبتسم فتيات أخريات على الإطلاق. في الواقع، إن أكالـــيل الزهور الموضوعة على رؤوسهن جعلتهن يبدين مثل الملائكـــة، وكانت بعض الفساتين رائعة فعلاً، فيما كان البعض الآخـــر مـــبالغاً فـــيه قليلاً. كانت هناك فتيات سمينات وفتيات

نحيلات، فتيات رائعات وفتيات عاديات، لكن فيما ظهرت كل واحـــدة مـــنهن على المسرح، وهي تمسك بباقة أزهارها، وتضع يـــدها المغلفـــة بقفاز بين ذراع رفيقها، بدت كل واحدة منهن وكأنهـــا تعـــيش أهم لحظة في حياتها. كان المذيع يعلن أسماءهنّ وأسماء الشباب المرافقين لهنّ. كانت كل فتاة تقف منتصبة، فيما الجميع يصفق، والإخوة والأخوات يصفرون ويصرخون، وتنحني بلـــباقة واحتـــرام، ثم تنـــزل الدرج ببطء، وتمرّ تحت السيوف، وتجـــتاز القاعة لانتظار الفتيات الأخريات. ثمة شيء سخيف في ذلك، وقديم جداً بطريقة رائعة. يسهل تخيل الفتيات وهنّ يفعلن ذلـــك خلال مئات الأعوام الماضية، وصولاً إلى الوقت المعاصر. لكن على عكس جداتهن، لم تعد الفتيات يبحثن عن أزواج. إنهن يعرّفن فقط عن أنفسهن أمام العالم بين العائلة والأصدقاء في لحظة ســـحرية ســـيذكرنها إلى الأبد. ثمة عالم كامل ينتظر لاستقبالهن والاحـــتفال بهـــن، عالم سيكون سهلاً بالنسبة إلى البعض وصعباً بالنسبة إلى البعض الآخر. لكن الليلة، وفي هذه اللحظة الساطعة، كـــان كل شيء يحدث ليؤكد لهنّ أن جميع من في القاعة يحبهنّ، وفخـــور بهـــنّ، ويـــتمنى لهـــنّ التوفيق. ثمة شعور غامر بالفرح والاستحـــسان في الغـــرفة، فـــيما كان الجميع يصفّق لكل فتاة. وأخيراً، صفّقت أولمبيا وجميع الموجودين على طاولتها عند ظهور فيرونـــيكا ومـــن ثم فيرجينيا. لم تكن فيرونيكا ممانعة أبداً. بدت واثقة وفخورة، وابتسمت ابتسامة جميلة، ووضعت وشاحها حول كتفـــيها، ثم نـــزلت السلالم بخطوات مدروسة، ومرّت تحت الـــسيوف، واجـــتازت الغرفة للوصول إلى بقية الفتيات. ثم ظهر

تشارلي مع فيرجينيا. بدا رائعاً فعلاً فيما أمسك بذراع شقيقته المغلفة بقفاز. ضغط على ذراعها برفق، فيما ابتسمت هي بخجل، وانحنت انحناءة لبقة، ونزلت ببطء على السلالم ومرّت تحت السيوف. استعرضت الفتيات أنفسهنّ مرة جديدة حول حلبة الرقص، ثم وقفن في صف رائع من الجميلات الشابات، وانحنين جميعاً انحناءة أخيرة، ثم تمت دعوة الآباء إلى حلبة الرقص. نهض تشونسي بحماسة أكبر مما كانت تتوقع أولمبيا، ومشى بفخر نحو حلبة الرقص لمراقصة فيرجينيا. همست حينها أولمبيا في أذن هاري. تردد، وأومأت هي برأسها، فذهب لمراقصة فيرونيكا.

ألقى تشونسي نظرة خاطفة عليه، ثم أومأ برأسه. وكما لو الأمر كان مدبراً مسبقاً، رقص كل واحد منهما مع إحدى الفتاتين نصف رقصة، ثم تناوبا. إنها لحظة عرفت أولمبيا أنها لن تنساها أبداً هي وهاري وفريدا. فالرجل الذي عارض بشدة كل شيء له علاقة بهذه الأمسية رقص مع ابنتيها في ليلة تقديمهما للمجتمع الراقي. وحين انتهت الرقصة، صافح تشونسي يده، الأمر الذي أذهل أولمبيا كثيراً. تبين أنه تحول ليس فقط للأولاد وإنما أيضاً للكبار. لقد اعترفت كلتا العائلتين بالرابط الذي يجمعهما عبر أولادهما. ثم عاد تشونسي إلى الطاولة ودعا أولمبيا للرقص.

"لم أستوعب بعد مسألة الوشم"، قال وهو ينظر إليها، مبتسماً هذه المرة. استطاعت لبرهة تذكر الرجل الذي أحبته ذات مرة. إنه يتشارك معها هؤلاء الأولاد الرائعين، وتشاركا للتو ليلة سيذكرانها طويلاً. ضحكت على ما قاله.

"ولا أنا. ظننت أنه كان سيغمى عليّ حين رأيته. أظن أن أولادنا سيفاجئوننا دوماً، وليس دوماً بالطرق التي نريدها. لكننا محظوظون تشونسي، لأنهم أولاد رائعون".

"نعم"، اعترف من دون تردد، "إنهم فعلاً كذلك". نظرت إلى حلبة الرقص وشاهدت هاري يرقص مع فيليسيا، وفيرونيكا مع تشارلي، وجيني بسعادة بين ذراعيّ ستيف الذي حطم قلبها في الليلة الفائتة. كانت تضحك فيما قال لها شيئاً، و لم تكف أولمبيا عن التساؤل ما إذا كانت جيني قد سحرته وبدّلت عقله في هذه الليلة. تمنت أن يكون الأمر كذلك. تستحق الفتاتان أن تكونا سعيدتين هذه الليلة أكثر من كل الفتيات الأخريات. عرفت أن الفتاتين ستخرجان لقضاء السهرة مع أصدقائهما طوال الليل، ولن تعودا إلى المنزل قبل موعد الفطور.

حرصت كلتا الفتاتين على المجيء إليها وإخبارها كم تحبانها، وكم هما مسرورتان لأنهما شاركتا في هذه الحفلة. عانقتها فيرونيكا بشدة، وبكت النساء الثلاث فيما شكرتها التوأمان. في تلك اللحظة السحرية، عرفت أولمبيا أن الأمر كان يستحق كل ذلك العناء.

رقصت هي وهاري طويلاً بعدما غادر تشونسي وفيليسيا وبقية الضيوف. جلست فريدا سعيدة في كرسيها النقال، تستمتع بالموسيقى وتراقب الأشخاص. تناولوا جميعاً عشاء منتصف الليل، وكانت الساعة الثانية فجراً حين غادر آل روبنشتاين الثلاثة الحفلة. قالت فريدا إنه لو لم يكن كاحلها مكسوراً وموضوعاً في جبيرة، لكانت رقصت طوال الليل. وقالت إنها السهرة الأكثر

سحراً في كل حياتها. في الواقع، إن مجرد رؤيتها متحمسة لوجودها هناك أثرّ كثيراً في قلبيّ هاري وأولمبيا.

حرص تشارلي على توديعهم قبل أن يغادر مع الفتاتين. إنهم ذاهبون إلى ناد خاص للرقص هناك. إنها ليلة لن ينساها أبداً أي منهم. همس تشارلي مجدداً في أذن أمه قبل أن يغادر "شكراً مجدداً أمي. أحبك".

"أنــا أحبك أيضاً حبيبي"، ابتسمت له. في تلك الليلة، لقد جمعتهما كل الأشياء المهمة ببعضهما البعض. جاءت كلتا الفتاتين لشكرها. حتى أن فيرونيكا قالت إنها قضت وقتاً رائعاً، وهذا تماماً ما قاله هاري حين غادروا.

"قضيت وقتاً مذهلاً، أولي"، قال وهو ينظر إليها بحنان. لقد أحب ما فعلته لأجل أمه. عرفت هي بغريزتها كم تعني هذه السهرة بالنسبة إلى فريدا، وما من شيء في العالم كان سيمنع أولمبيا من إحضارها إلى هنا. لقد تحرر الجميع هذه الليلة، كل واحد على طريقته. ولعلّ هاري أكثر من فعل ذلك. فقد تخلى عن مُثله الراديكالية للحظة، وسمح لنفسه بالابتهاج، واكتشف أنه ليس مضحكاً جداً الانتقال إلى عدة عوالم. كانت عينا فريدا لا تزالان تتلألآن حين دخلوا إلى سيارة الليموزين. فريدا هي السندريلا هذه الليلة، فيما أولمبيا عرابتها السحرية. وتبين أن هاري هو الأمير الوسيم في النهاية.

اجتمع الثلاثة في المطبخ حين وصلوا إلى المنزل، حيث حضّر هاري الأومليت. كانت فريدا لا تزال ترتدي فستانها المخملي الأسود الجميل، فيما فكّ هاري ربطة عنقه. جلسوا إلى

مائدة المطبخ، يتحدثون عن كل لحظة مميزة في تلك الليلة.

قال هاري فيما أنهى الأومليت: "الفستان الذي كانت ترتديه فيليسيا مميز فعلاً" وضحكت أولمبيا.

"إنها ملائمة تماماً لتشونسي، أفضل مما كنت أنا"، قالت أولمبيا. "لقد كسرت فيرونيكا ربما الجليد بوشمها الأحمق. السيدة فراشة. يجدر بي أنا ربما أيضاً الحصول على واحد".

"لا تتجرإي!" حدّق هاري فيها، وهو يبدو وسيماً أكثر من قبل بالنسبة إلى زوجته وأمه.

ساعدت أولمبيا فريدا على الخلود إلى السرير، فيما نظف هاري المطبخ. نظرت فريدا إلى كنّتها من وسادتها، والنجوم تتلألأ في عينيها.

"شكراً أولمبيا. قضيت أفضل وقت في حياتي".

"أنا أيضاً"، قالت أولمبيا بصدق. "أنا سعيدة جداً لأنكِ كنت هناك أنتِ وهاري".

"إنــه ولد جيد"، قالت فريدا بفخر. "أنا مسرورة لأنه فعل الشيء الصحيح".

"إنــه يفعل ذلك دوماً"، قالت أولمبيا وقبّلتها وتمنت لها ليلة هانئة، ثم أطفأت النور وغادرت الغرفة. كان هاري ينتظرها في الممشى خارج غرفة أمه. صعدا إلى الطابق العلوي يداً بيد، وأغلقا بهدوء باب غرفة نومهما كي لا يوقظا ماكس. فالحاضنة التي اتصل بها هاري في الدقيقة الأخيرة غادرت المنزل ما إن وصلوا هم إليه. كانت نائمة في غرفة تشارلي، إذ إن الساعة قاربت الثالثة

فجراً. وكانت الساعة الرابعة فجراً تقريباً حين فكّ هاري سحاب فستان أولمبيا ونظر إليها بسرور، ثم تذكرت ما لم تتمكن من إخباره به حتى الآن. بدت الجدية في عينيه فيما نظرت إليه.

"أخبرني تشارلي شيئاً مهماً جداً الليلة".

"أن لديه وشماً هو أيضاً؟" قال ممازحاً، وهزّت هي رأسها. لم تكن حزينة على تشارلي، وإنما تكنّ له احتراماً كبيراً.

"لقد تحرر تشارلي الليلة أيضاً".

"من ماذا؟" سأل هاري، وهو يبدو مرتبكاً، ثم فهم. لم يفاجئه الأمر كثيراً، رغم أنه لم يكن واثقاً أبداً من ذلك. لكنه شك في الأمر مرة أو مرتين، ولم يشأ قول أي شيء لأولمبيا، على افتراض أن شكوكه ليست دقيقة. كان يخشى أن يغضبها ذلك. لكن لم يحصل ذلك. لقد فاجأها، لكنها تحبه أكثر من أي وقت مضى.

قالت أولمبيا، متأثرة بالثقة التي وضعها إبنها فيها. "لقد أخبرني حين كنا نرقص، مباشرة قبل أن تصل أنت".

"تساءلت عما كان يخبرك به. كنت أراقبك فيما أنت ترقصين معه. بدوتِ جميلة". اقترب لوضع ذراعيه حولها. "هل تقبّلت ذلك؟" بدا قلقاً. فهذا اعتراف كبير من قبل ابنها، فيه الكثير من التشعبات التي قد تؤثر فيه وفيهم جميعاً طوال سنوات، لبقية حياته.

"أظن نعم. أريده فقط أن يكون سعيداً. بدا لي أكثر سعادة حين أخبرني مما كان منذ وقت طويل".

"إذاً أنا مسرور. ومرتاح من أجلكما معاً. تعرفين"، قال فيما جلس على سريرها ونظر إليها. "كنتِ محقة. أظن أن الحفلة الراقصة أمر جيد. إنها تشبه كثيراً حفلة الطقوس في ديني. إنها فترة تجعل كل واحد يشعر بالارتياح، ليس فقط الفتيات، وإنما كل الأصدقاء والعائلات، وكل واحد يشاركهنّ الحفلة. أحببت وجود أمي هناك. وأحببت الرقص معك ومع الفتاتين. ورغم أن الأمر قد يبدو غبياً، لكن الدموع تلألأت في عينيّ حين صافحني تشونسي في حلبة الرقص".

لقد تلألأت الدموع في عينيه مرات عدة تلك الليلة، وفي عينيها هي أيضاً. كانت ليلة من الحب والاحتفال، ليلة من الأمل والتذكر، ليلة تصبح فيها الفتيات نساء، والأولاد راشدين، وكل الغرباء أصدقاء. ومثلما قالت هي قبلاً عن الحفلة، إنها نوع من الطقوس والتقاليد الجميلة، ولا شيء أكثر من ذلك. إنها ليلة خرج هو فيها من عالمه القديم إلى عالم جديد، فيما ألقى الآخرون نظرة خاطفة ومترددة على العالم القديم. إنها ليلة التقى فيها الماضي والمستقبل في لحظة ساطعة، وتوقف الوقت، واختفى الحزن، وبدأت الحياة.